المبحث الأول: الشواعر الجَواري

المبحث الثاني: الشواعر الحرائر

المبحث الأول

الشواعر الجَواري

توطئه

١- العباديّة.

٢- اعتماد الرّميكيَّةَ.

٣- بثينة بنت المعتمد بن عبَاد.

٤- أُنس القلوب.

٥- غاية المنىَ

٦- عتبة.

توطئـــــة:

مما يؤسفُ لَهُ، أنّ أكثرَ أسماءِ النساءِ التي جاءت في كُتبِ المؤرخينَ جـاءت عابرةً لم يُعْنَ بها الرواة. فقد أعرضوا عن تدوينِ أخبارهنِ، وأهملوا العنايـةَ بجمـع أشعارهن. إلا ما جاء لِماماً في الذخيرةِ. والمغـرب والصـلة. والمُطـرب. ونزهـة الجلساءِ. ونفح الطيب ... وهو تلميحٌ خاطفٌ ونزر قليل.

والعجيبُ أن هذا القليل المحدود الذي نُقِلَ عن شواعر الأندلس كـان يتناولـه المؤلفون بعضهم عن بعض دون تَبسطٍ في النقلِ ولا استفاضـة فـي البحـث عـن أحوالهن وذكر أخبارهنَ وأشعارهنَ. لذا اضطررنا أن نَنْقِفَ أخبارَهُن من هنا وهناك، لنكشفَ النقابَ عن شخصياتهن ومواهبهن. فرحنا نَبْحَثُ في فهرسـة ابـن خيـر[1] الاشبيلي المتوفي (٥٧٥هـ) علّنا نعثرَ على تأليف لهن أو فيهن يرشدنا إلـيهن. فلـم نقع إلاّ على كتاب تحت عنوان (رسالة الحرّة) للقاضي أبي بكر بن الطيب. ربما كان هذا تأليفاً في الحرائر من النساء لكنهُ فُقِدَ ولم يَصِلْ إلينا.

كما بحثنا في كتاب برنامج شيوخ الرعيني[2] المتوفي (٦٦٦هـ) . لكننا لـم نَعْثُرْ على شَيءٍ يُذْكَر عَنهُنَ.

لقد أشار الحميدي [3] المتوفي (٤٨٨هـ) إلى كتاب تحت عنوان (في النساء) لأبي إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي محمد القرشـي العـامري. وذكـر الضـبي المتوفى (٥٩٩هـ) أن مُسلمةَ بن قاسم له كتاب (النساء) [4].

---

(١) فهرسة ابن خير الأشبيلي: ص٢٥٧طـ . الثانية ١٩٦٣ مطبعة فومش بسر قسطة.

(٢) أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الأشبيلي: برنامج شيوخ الرعيني. تحقيق إبـراهيم شبوح. المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٦٢م. مطبوعات مديرية أحياء التراث القـديم – وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

(٣) جذوة المقتبس: ص١٥٣ – ١٥٤.

(٤) بغية الملتمس: ص٥٣١ طـ . مدريد.

وعثرنا مصادفة في هامش "المغرب في حلى المغرب" على كتاب لمؤلف مجهول تحت عنوان (ذهبية المساء في حُلي النساء) [1] أشار إليه الدكتور شوقي ضيف محقق المغرب. بحثنا عنه ويبدو أنه لم يصل إلينا.

وقد أشار ابن عبد الملك المراكشي التوفي سنة (٧٠٣هـ) في مخطوطة الذيل والتكملة إلى أن الشاعرة فتحونة بنت جعفر والتي تعرف بام الفتح قد ألفت كتاباً في (قيان الأندلس) [2]. ولم يعين الفترة التي كانت تعيش فيها. ويبدو أن هذا الكتاب هو الآخر ضاع مع ما ضاع من التأليف.

فكتاب (في النساء) وكتاب (رسالة الحرة) وكتاب (النساء) وكتاب (ذهبية المساء في حلي النساء) وكتاب (قيان الأندلس). قد تكون هذه الكتب أشهر ما ألف في النساء الحرائر والجواري الأندلسيات لكنها ضاعت مع ما ضاع من تراثنا العربي في الأندلس.. وهو قليل جداً إذا قيس بتآليف المشارقة حول نسائهم ، وأقصد التأليف المفقودة منها والموجودة.

لقد نشر الدكتور صلاح الدين المنجد مقالاً تحت عنوان من تراثنا المفقود (ما ألف عن النساء) [3] ذكر فيه تآليفُ وتصانيفُ خصوها بالمرأةِ وجنسِها، وجلَوا فيها عن أسرارٍ وأخبارٍ، لم يَدّعوا أمراً أدركوا صِلَتَهُ بهنَّ إلاّ تكلّموا عليه وبحثوا فيه.

ولو أن هذا التراث العظيم كان قد سلِمَ، لرأينا من لطائفهِ وطرائفهِ كل معجب مطرب، ولسمعنا من أخبار النساء وأحاديثهن وأسرارهن كل رقيق جميل..

أمّا شواعرُ الأندلس فلم يصل إلينا تأليف مستقل عنهن..

---

(١) انظر هامش المغرب : جـ١ ص١٤٣.

(٢) أبو عبد الله بن عبد الملك: مخطوطة الذيل والتكملة – القسم المخطوط بالرباط تحت رقم (١٧٠٥ د) نقلا عن محمد منتصر الريسوني: الشعر النسوى: ص١٤٥.

(٣) انظر مقال الدكتور صلاح الدين المنجد: مجلة المجمع العلمي العربي – دمشق المجلد السادس عشر – الجزء الأول والثاني: ص٢١٢ –٢١٩.مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٩٤١.

يُعدُّ ابنُ بسام المتوفى (٥٤٢هـ) من أقدمِ وأوثقِ المؤرخينَ للأخبارِ الأندلسيةِ . وهو قريبُ عهد من ملوك الطوائف.

يذكر مُؤكداً ضياع الكتب والمؤلفات فيقول إنهم (ألفوا كتُباً لكنها لم تصل إلينا) [١] . إذا كان هذا حال الرواة القريبي العهد بالشاعرات!؟ فكيف تصل إلينا مؤلفاتهم؟ بعد أن طال الزمان وبعد المكان وأصبحت القرون تُعَدّ بالعشرات!!؟.

يُعدُّ أحدُ الباحثينَ قلة اخبارهن، ذلك : لأن أكثر الكتب التي وصلت إلينا عن حياة الأندلس الف بعد سقوط ذلك البلد العظيم. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى. أنه الف في بلد خفي فيه أدب المرأة عن منال الأقلام فلم يحفل كتابها بها[٢] ...!!

ولا ندري لم أغرض الرواة عنهن ولم يبحثوا في شؤونهُن وأخبارهن وأحاديثهن. ولماذا أغفلوا ذكر الموضوعات الخاصة بهن كذكر أحوالهن الدينية أو دورهن وصلتهن بأزواجهن . ولم يعنوا حتى باخبار القيان والجوارى الشاعرات والمغنيات، والنوائح ، وأمهات الأولاد.

إن هذه القضية تُثيرُ الاستغراب !! إلى حدٍ بعيد. بعد أن إطلعنا على صورهن في المباحث السابقة لمسنا مدى شغف الشعراء والوزراء والملوك بهن[٣]، وحرص الآباء على تعليم وتثقيف بناتهم، وتشجيعهن على نظم الشعر. علماً أن اكثر النسوة اللائي لمعت أسماؤهن من الجواري الحسان. وكانت تقاس قيمتها بقدر جمالها وحسن صوتها وإهتمامها وقولها للشعر[٤]. لذا اسرفوا في تعليمهن وذهابهم بهن كل مَبلغ للرفعِ من أقدارهنَ ورفع مستواهن المادي والعقلي بحيث أصبحن طبقة اجتماعية

---

(١) الذخيرة : م١ ق١ ص١٣٥.

(٢) المرأة العربية : جـ٣ ص١٤٨.

(٣) أنظر ديوان ابن زيدون: تحقيق علي عبد العظيم . وديوان المعتمد. تحقيق أحمد أحمد بدوي.

(٤) باقر سماكة: التجديد في الأدب الأندلسي : ص١٣٣ مطبعة الإيمان بغداد ١٩٧١.

ينظر إليهن باعجاب واحترام[1].. فعدهن أحمد الباحثين ضمن الطبقة الارستقراطية لتقدمهن[2].. وكان أثرهن فيما بعد واضحاً فأصبحْنَ يفقهن الأدب ويحسن نظمه[3].

وبعد أن تعرفنا على مختلف أصنافهن من أمهات وزوجات وحبيبات وحرائر كن أم جاريات. نستطيع أن نقول بأن الأندلس أنجبت في عصر الطوائف[4] شواعر لا زالت العيون بعد مضي القرون ترنو لهن بكل إعجاب. لما وجدنا في حياتهن من أمثلة رائعة للحياة العاطفية المعبرة عن قصص حبهن ونوادرهن. الاّ أنّ أشعارهن كانت كما قيل غيضًا من فيض. ربما تعود لأسباب نفسية خاصة بالرواة. أو تحيزاً للرجل.ز فقد سجل لنا ابن بسام (ت ٥٤٢ هـ) بحق الشاعرة ولاّدة بنت[5] المستكفي قوله (وكانت زعَموا تَقرضَ أبياتاً من الشعرِ وقد قرأتُ أشياءً منهُ في بعضِ التعاليق أضربتُ عن ذكرهِ وطَوْيتُهُ بأسرهِ لأن أكثرَهُ هجاءَ وليسَ له عندى إعادةٌ ولا إبداء ولا من كتابي في أرض ولا سماء) [6]. وهكذا يبدو اعترافُهُ واضحاً وهو سيدُ الأدلة .. قس أنت !! إذا كان هذا حال الشاعرة الحرة المشهورة من بناتِ الخلفاء مع الروَاة. فكيفَ بالجواري الشاعرات أو المغمورات من النساء الشواعر !!؟ ثم إن هذه الأخبار المدونة عوملت بطريقة غير أمينة. ناهيك عن الأخبار المروية حتماً أهملت ولم تدون .. وعلى ما نعتقد أن هذه من الأسباب المباشرة التي شاركت في قلة أشعارهن وندرة أخبارهن[7] . وليس من المعقول أن شعرَ الجواري إقتصرَ على تلك المطارحات وبضعةِ الأبيات التي نُقلتْ عنهنَ، ولا سيما أنّ كلَّ واحدةٍ منهنَ قد نَعتهـا

---

(١) انظر الفصل الأول من هذا البحث / المبحث الخاص بصورة الجارية.

(٢) أشبيلية في القرن الخامس الهجري : ص٩٨.

(٣) في الأدب الأندلسي : ص٩٧.

(٤) النفح : جـ٦ م٣ ص١٩ – ٣٣.

(٥) سنرد لها ترجمة وافية في مبحث لاحق.

(٦) الذخيرة : م١ ق١ ص٤٣٢.

(٧) النقد الأدبي في الأندلس : ص٣٩.

رواةُ أخبارها بأنها (شاعرة الأندلس) [1] أو أنّها (اشعرَ نساءَ زمانها) [2] فعفَوا عن أشعارهن [3] لأن ما فيه من لطف ورِقّة جعله ركيكاً في نظرهم ، فأنِفوا نَقْله.

أو لأنهم رجال. غيظوا أن تسابقهم النساء في ميدان الشعر فيسبقنهم في الرقة ، وصدق العاطفة وجمال التعبير [4].

لذا نجد الرواة في أخبارهن قد اقتصروا تلميحاً وتلميعاً على تهتكهن وضروب آرائهن وسيطرتهن على قوب الرجال. فطمست معالمهن الشعرية.

إن هؤلاء الجواري وإن تمتعن بالحَظوة عند الأندلسيين، ولكنهنَّ لم يدركن ما أدرك زميلاتهن في المشرق من مرتبةٍ أدبيةٍ سامية. لذا بقينَ متخلفاتٍ في النواحي الثقافية بالنسبة للحرائرِ الأندلسيات[5]. ولم يَبْلُغنَ في الغناءِ مَبلغَهن أيضاً[6]. ولا ننْس المجالس وندوات الطرب والغناء والكؤوس والشراب وتأثيرها البالغ. بل هي التي ألهمت المرأة أن تزاحم في هذا الميدان وتشغل في المجتمع الأندلسى هذا الفراغ[7].

وتصدت لفنون الأدب جميعاً وامعنت في كل ذلك إمعاناً أعيا على الرجلِ إدراكُهُ في مواطنَ كثيرةٍ [8] ولا سيما في إجازتها للأبياتِ الشعريةِ[9] ويبدو أن عصر

---

(١) المغرب : جـ٢ ص١٤٥ . وانظر نفح الطيب : جـ٦م٣ ص٢٣. (أو خنساء المغرب وهي حمدونة بنت زياد).

(٢) الذخيرة : م١ ق١ ص٤٢٩.

(٣) الذخيرة : م١ ق١ ص٤٣٢ . وانظر النساء العربيات: ص٥١.

(٤) النساء العربيات: ص٥١.

(٥) المرأة في حضارة العرب : ص٢٥٩.

(٦) فايد العرنوسي: الجواري المغنيات: ص١١ مطبعة دار المعارف. مصر ١٩٦١.

(٧) تاريخ الأدب العربي: ص٢٢٤.

(٨) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها :جـ٢ ص١٤٠.

(٩) فتح الطيب : جـ٥ م٣ ص١٩ – جـ٦ م٣ ص٢٢ – ٢٣.

الطوائف كان عصر مطارحة وإجازة للشعر بين الجواري والشعراء وعصر مساجلة ومناظرة بين الشواعر الحرائر والشعراء[1].

وأكثر ما تكون الغلبة والنجاح للمرأة فقد كانت أسرع بديهةً وأكثر حاضرة وأرقّ طبعاً.

ومما يلاحظ هو كثرة الجواري الشواعر في القرن الخامس الهجري، في حين لا تكاد تقع إلاّ على عدد قليل منهن في القرنين الثاني والثالث كالجارية العجفاء وقمر.

إن أول جارية شاعرة ظهرت في الأندلس هي من وافدات المشرق عرفت بصفتها (الجارية العجفاء) [2] كانت صفراء هزيلة ضعيفة نحيلة. وكانت تتقن فن قول الشعر الوجداني والغناء الذي يهز المشاعر ويخاطب العاطفة سمع بها عبد الرحمن الداخل (المتوفي سنة ١٧٢هـ) فبعث لشرائها واستقدامها ففتحت باب الغناء للجواري الأندلسيات .. في القرن الثاني الهجري.

والجارية الثانية التي ظهرت على مسرح الحياة في القرن الثالث الهجري هي (قمر) [3] جارية إبراهيم بن الحجاج المتوفي سنة (٢٨٨هـ) . اشتراها بعد أن سمع عن براعتها في الغناء وذكائها وحسن تدريبها على قول الشعر. وكانت مطبوعة جمعت بين الظرف والأدب. جاءت من بغداد وسكنت أشبيلية. ومدحت مولاها إبراهيم بن حجاج قائلة:- [الكامل]

ما في المغارب من كريم يُرتجى إلاّ حليفُ الجُودِ إبراهيمُ

---

(١) انظر الإحاطة : جـ١ ص٤٣٣ -٤٣٥.

(٢) نفح الطيب : جـ٤ م٢ ص١٤٨.

(٣) نفح الطيب: جـ٤ م٢ ص١٣٧.

فازدرى بها نساء العرب . وأخذن يتهامسن إذا مرت ويتغامَزْن[1] إذا عنت فقالت[2]: [البسيط]

قالوا أتت قمرُ في زيٍّ أطمار من بعد ما هتكتْ قَلْباً بأشفار

وحبُّ الوطنِ غريزةٌ راسخة في الكيان الإنساني ، فسرعان ما تشوقت إلى بغداد مدينة السحر والجمال وعاصمة الدنيا آنذاك فانشدت:-[الكامل]

آها على بغدادِها وعِراقِها وظِبائِهَا والسِحرُ في أحداقِها
ومَجالها عند الفراتِ بأوجهٍ تَبدوا أهِلَّتها على أطواقِها

وتُعَدُّ قمر هذه هي التي إعتمدت بناء الأدب النسوي بالأندلس[3].

وقد سبق أن تحدثنا بالتفصيل عن صورة الجارية في الفصل الأول في الشعر وتبين لنا من خلال ذلك الحديث .. علاقتهن بالرجال، ومواقفهن في الحياة العاطفية ، ومنهن من سجلت وفاءً نادراً ومنهن من كانت متقلبة الأهواء.

وسجلنا صوراً للجواري المغنيات والراقصات والعوادات والموسيقيات والقوّامات.

سنحاول تقديم ترجمة موجزة لكل شاعرة جارية عاشت ضمن فترة الطوائف.

---

(١) أعمال الإعلام: ص٣٥.

(٢) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ٢٢١.

(٣) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: جـ٣ ص٥١.

(١) العَبَادية : [١]

وهي شاعرة من الجواري الأندلسيات اللائي عشن ضمن فترة القرن الخامس أهداها مجاهد العامري المتوفي سنة (٤٣٦هـ) من دانية[٢]. إلى المُعتَضِد بالله[٣] عباد بن محمد بن عباد المتوفي سنة (٤٦١هـ) [٤] وسكنت إشبيلية.

وكانت أديبةً ظريفة، كاتبة، شاعرة من أشعر شواعر زمانها[٥] ذاكرة لكثير من اللغة (فصيحة العبارة لطيفة الإشارة حاضرة الرواية قريبة النادرة، لها المام تام بضروب الغناء) [٦]. وكانت من توقدِ قريحتها وحضورِ بديهتها، ترتجلُ الشعرَ والأمثالَ [٧] .. (وقد أرِقَ المعتضدُ ليلةً) [٨] .. (لأمر حَزَبَهُ وهي نائمة) [٩] فقال[١٠]:- [المتقارب]

---

(١) نفح الطيب: جـ٦ م٣ ص١٩. الدر المنثور: ص٣٢٧. أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام : جـ٣ ص٢٢٧ طـ. الثانية ١٩٥٨. الهاشمية.

(٢) دانية: مدينة تقع شرقي الأندلس "انظر خارطة الأندلس في عصر الطوائف في المصدر نفسه.
مجاهد العامري: مؤسس الدولة العامرية في دانية توفي سنة (٤٣٦هـ).

(٣) إعلام النساء : جـ٣ ص٢٢٧.

(٤) المعجب: ص١٠١.

(٥) إعلام النساء : جـ٣ ص١٢٧.

(٦) الدرُ المنثور : ص٣٢٧.
المعتضد بالله : (أبو عمرو عباد) بن القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد ولد سنة (٤٠٧هـ). ارتقى عرش أشبيلية سنة (٤٣٣هـ) وكان أقوى ملوك الأندلس والمسلمين .. وقيل إن سبب وفاته حزنه على ابنته الصغيرة حزناً شديداً حتى ادركه الموت. ترجم له ابن بسام في الذخيرة. وانظر أعمال الإعلام: ص١٥٤.

(٧) الدر المنثور: ص٣٢٧.

(٨) الشعر النسوي في الأندلس : ص٩٨.

(٩) النفح : جـ٦ م٣ ص١٩.

(١٠) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

تنامُ ومُدْ نَفُها يَسهَرُ وتَصبرُ عنهُ ولا يصبرُ

فأجابته على البديهة بقولها: -

لِئَنْ دَامَ هَذَا وَهَذَا لَهُ سَيَهْلِكُ وَجْداً ولا يَشْعِرُ

لَمْ يَصلْ إلينا من نِتاجها الشِّعري إلاَ هذا البيت اليتيم. فماذا حَلَّ بشعرها؟!!

بعد إطلاعنا على أخبار هذه الجارية في بلاط العَبادِيين يتبين لنا خضوع الملوك للمرأة الجارية واستصغارهم لملكهم أمام عاطفتهم وسلطان وجدهم فالمحبوبة عندهم مصدر للحياة والإلهام. حيث سجل[1] لنا المعتضد صورة للوله بالجوارى وإن كانت ظاهرة شائعة في الأدب.

(٢) اعتماد الرُّميكيَّة :- [٢]

كانت جارية للرميك بن الحجّاج[٣] . وعن طريق الشعر تعرف بها[٤] المعتمد بن عباد المتوفي (٤٨٨هـ) وكان سبب شرائها من مولاها المذكور.

---

(١) ديوان المعتمد بن عباد : ص١٧ . انظر المقدمة تحقيق أحمد أحمد بدوي تجد ذكراً للجواري منهن (جوهرة، وداد، سحر، قمر). وانظر فصل المعتمد والنساء في ديوان المعتمد : ص٦٠ -٨٢ تحقيق د. صلاح خالص.

(٢) ديوان المعتمد بن عباد الأشبيلي : ص٦١-٦٤. ط. د. صلاح خالص . وانظر الحلة السيراء : جـ٢ ص٦٢. المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص١٤٦. الإحاطة في أخبار غرناطة: جـ٢ ص١١٩. ط. القاهرة. ٧٤ . وفيات الأعيان : جـ٤ ص٥٦.
نفح الطيب : جـ٥ م٣ ص٣٤٢ - ٣٤٣ - وجـ٦ م٣ ص٨ - ٩. محمد بن عمار الأندلسي : ص٧٢ - ٧٣ . ثروت أباظة : ابن عمار: ص٥٣. الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: ص٤١. أعلام النساء: جـ١ ص٧١. عبد الله عفيفي : المرأة العربية جـ٣ ص٥٨. النساء العربيات: ص٥٠. نيكل مختارات من الشعر الاندلسى : ص ٨٨. جودت الركابي : في الأدب الأندلسي: ص٩٢. د. عمر الدقاق : ملامح الشعر الأندلسي: ص١٦٦. الشعر في ظل بني عباد: ص١٩. الشعر النسوي في الأندلس: ص٩٩ - ١٠١.

(٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ص١٥٥. مختارات من الشعر الأندلسي: ص٨٨، انظر هامش ط. ١٩٤٩. الشعر النسوي في الأندلس: ص١٠٠.

(٤) النفح : جـ٥ م٣ ص٣٤٢. الدر المنثور : ص٤١. في الأدب الأندلسي: ص٩٢.

ذُكِرَ[1] أن المعتمد رَكِبَ في النهرِ ، ومَعَهُ ابن عمار وزيره المتوفي (٤٧٧هـ) وقد زَرَدَتْ الريحُ النهرَ ، فقال المعتمد لوزيره ابن عمار ...

أجزْ (صنَع الريحُ من الماءِ زَرَدْ)[2] ... فأطال الوزير الفكرة مع كونه شاعراً بعد أن طال التأمل إنبرت إمرأة من الموجودات على ضفة النهر ، من الغاسلات، فأجابت: (أيُّ درْعٍ لقتال لو جمد) [3] فأعجُب ابنُ عبادُ من حُسنِ ما أتت به. فَنَظَر إليها فإذا هي غايةٌ في الجمال .. ولم يَملكْ نَفْسَهُ من شِدةِ الدَهشةِ، فَسَألها؟ أذاتُ زوجٍ هي[4]، فقالت: لا . فاشتراها وتزوّجها[5].

وقيل تلقب بالمعتمد بعد ارتباطه بها حيث كان يلقب بالمؤيد والظافر[6] لينتظم اسمه حروف اسمها[7]. اقتراباً منها وإجلالاً لها[8]. وقيل أنه غيّر اسم (روميكا) إلى اعتماد [9]. وعُرِفت فيما بعد بـ(السيدة الكبرى) وكانت تكني بـ (أمّ الربيع) [10] .. وأنجبت منه الملوك. والأميرة بثينة[11].

إن بثينة [12] بنت المعتمد بن عباد خلّفها من اعتماد الرميكيّة على ما جاء في المصادر . لكنه خلف أولاداً ملوكاً نذكر منهم على سبيل المثال . أبا خالد يزيد

---

(١) النفح : جـ٥ م٣ ص٣٤٢.
(٢) الزرد: الدرع المزرودة، سميت به للينها وتداخل بعضها في بعض، وعند العامة الحلق الصغير. وزرد الحبل ونحوه أي شدّ عقدته ، والزَرد السريع الإبتلاع. انظر – بطرس البستاني : محيط المحيط : جـ٢ ص٨٦٢ طـ١ بيروت نقلاً عن الطبعة الأولى ١٨٧٠. والمنجد في اللغة: طـ الثانية والعشرون – دار المشرق.
(٣) النفح: جـ٥م٢ ص٣٤٢ . نستميحكم عذراً لتكرار البيت في مبحث سابق .
(٤) الشعر النسوى في الأندلس: ص٩٩.
(٥) النفح : جـ٥ م٣ ص٣٤٢.
(٦) قلائد العقيان: ص١٢ . طـ. باريس.
(٧) الشعر في ظل بني عباد : ١٩.
(٨) ملامح الشعر الأندلسي : ص١٦٦.
(٩) ثروت أباظة : ابن عمار ص٤٤.
(١٠) انظر ديوان المعتمد بن عباد: المقدمة، طبعة أحمد أحمد بدوي.
(١١) سنذكر ترجمتها مفصلة لاحقاً. النفح: جـ٥ م٣ ص٣٤٢.
(١٢) وردت بعض أخبارها وأشعارها في : ديوان المعتمد ص١٠٨ . ونفح الطيب: جـ٦ م٣ ص٢٠ –٣٢١. وانظر المعتمد بن عباد: د. عزام : ص١٠١ –١٠٢ و.نيكل : مختارات من الشعر الأندلسي : ص١٠٥ – ١٠٦طـ. دار العلم للملايين – ١٩٤٩.

(الراضي) بن محمد المعتمد ، قتل في سنة (٤٨٤هـ) [١]، وأبا نصر عباد (المأمون) بن محمد المعتمد، قتل في قرطبة سنة (٤٨٤هـ) [٢] وعبد الجبار بن المعتمد، قتل بعد سنة (٤٨٤هـ) [٣] وعبيد الله (الرشيد). توفي (٥٣٠هـ) [٤].

وقد كَلِفَ زُوجُها بمطاليبها وكانت (لا تَشعر بأنَّ في الحياة أمنيةً عزيزة أو مطلباً بعيداً ، فما نزعت نفسها إلى شيء حتى وجدته بين يديها على أحسن صورة وأتم وجه) [٥] . وكان حب الملك لهذه الامرأة الحسناء المدلّلة خير معين لها في تنفيذ رغباتها ونزواتها واستجابته لها[٦] . وقصة يوم الطين في تاريخ علاقتهما مشهورة[٧]. بحيث أصبح مضرباً للأمثال .. لذا نقم عليها رجال الدين ولم يرق لهم إسرافها وشدة تأثيرها في المعتمد، ومقتوا إسمها واشمأزوا منها[٨]. بينما كانت اعتماد الشخص الوحيد الذي شارك المعتمد في سرائه وضرائه حتى نهاية حياته في منفاه

---

(١) انظر اخباره في قلائد العقيان: ص٣٢ وما بعدها. ديوان المعتمد: ص٤٦-٦٨-٧٠-١٠٥-١٠٧ . خريدة القصر جـ١١ ص١٥٣. الحلة السيراء : جـ٢ ص٦٢-٧٠ . المطرب : ص٤٤. المعجب : ص٢١٤. نفح الطيب: جـ٥م٣ ص٣٨٣ - ٣٨٥.

(٢) انظر ديوان المعتمد: ص٦٨ - ٧٠ - ١٠٥ - ١٠٧. وانظر الحلة السيراء : جـ٢ ص٦٢.

(٣) ديوان المعتمد : ص١١٦ . نفح الطيب: جـ٥ م٣ ص٣٤٩.

* المعتمد بن عباد: كان ملكاً وشاعراً محسناً. وبطلا شجاعاً وجواداً ممدحاً. كان بابه محط الرجال وكعبة الآمال وشعره في الذروة العليا. سجن باغمات حتى مات فيها (٤٨٨هـ).

(٤) ديوان المعتمد : ص٢٤ - ٧٦ -٩٣. الحلة السيراء جـ٢ ص٦٨.

(٥) المرأة العربية : جـ٣ ص٥٨.

(٦) المعتمد بن عباد الأشبيلي : ص٦١.

(٧) النفح : ح٦ م٣ ص٩.

(٨) محمد مجيد السعيد: الشعر في ظل بني عباد: ص١٩، عن ملوك الطوائف: ص٢٠٨، وانظر ملامح من الشعر الأندلسي : ص١٦٦ -١٦٧.

* يوم الطين: قيل إنها رأت الناس يمشون في الطين ، فاشتهت المشي في الطين فأمر المعتمد، فسحقت أشياء من الطيب، وذُرّت في ساحة القصر حتى عمته ثم نصبت الغرابيل وصُبَّ فيها ماء الورد على اخلاط الطيب، وعجنت بالأيدي حتى عادت كالطين وخاضتها مع جواريها. وغاضبها في بعض الأيام. فأقسمت أنها لم تر منه خيراً قط فقال : ولا يوم الطين؟ فاستحيت واعتذرت.
انظر الفتح : جـ٦ م٣ ص٩.

النهائي[1]. وكثيراً ما كان المعتمد يأنس بها، (ويستظرف نوادرها، ولم تكن لها معرفة بالغناء وإنمّا كانت مليحة الوجه، حسنة الحديث، حلوة النادرة. كثيرة الفكاهة لما في كل ذلك نوادر محكية) [2]. يقول أحد الباحثين (إن أدبها الجّم وذكاءها أوصلاها بالمعتمد) [3]. في حين لم يصل الينا من شعرها سوى ثلاثة أبيات ليس من الشعر بشيء . ولم يرولها من الشعر (شيء يذكر) [4].

عندما التقى المعتمد بهذه الجارية الساحرة كان معه صديقه الوزير الشاعر إبن عمار الأندلسي (٤٧٧هـ) الاّ أنه أصبح عدوه اللدود في أخر حياته، وسبب هذا العداء العنيف هو هجاء ابن عمار للمعتمد وزوجته الرميكيّة[5] بقصيدته اللاّميّة[6] الشهيرة:-[المتقارب]

أَلاَ حَيِّ بالغربِ حَيّاً حلالا ... أناخوا جمالاً وحازوا جَمَالا
وعرِّج بيومين أم القرى ... ونَمْ فعسى أنْ تَراها خيالا
تخيرتُها من بناتِ الهجان ... رميكيّة ما تُساوي عِقالاً

وقيل إن إبن عباد حقد علي إبن عمار قوله [7]: [البسيط]

---

(١) محمد بن عمار الأندلسي: ص٧٢ -٧٣.

(٢) النفح: جـ٦ م٣ ص٨. وانظر أعلام النساء : جـ١ ص٧١.

(٣) المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة : ص٢٥٠.

(٤) النساء العربيات: ص٥٠.

(٥) المعتمد بن عباد : ص٦٣ -٦٤ . محمد بن عمار الأندلس: ص٧٣.

(٦) ديوان ابن عمار الأندلسي: ص١٢٢ - ١٢٣- جمعه وصححه صلاح خالص (ملحق لرسالة دكتوراه).

يومين : قرية بأشبيلية كانت منها أولية بني عباد. النفح: جـ٥ م٣ ص٣٤٣.

(٧) لم ترد الأبيات في ديوان ابن عمار. وانظر محمد عبد المنعم خفاجة: قصة الأدب في الأندلس : ص٤١٩ طـز بيروت، ١٩٦٢. ولقد ورد في المعجب أن ابن عباد قتله سنة (٤٧٩هـ). المعجب: ص١٢٧.

مِمّا يُزهدني في أرضَ أندلسٍ أسماءَ معتضدٍ فيها ومعتمد
القابُ مملكةٍ في غيرِ موضعِها كالهرِّ يَحكي انتفاضاً صولة الأسد

فلربما كان هذا سبباً ، مع الهجاء المقذع وإغراء الرميكية للمعتمد فقتله (وضربه بالطبرزين) [1] وتركه في رأسه . فقالت الرميكيّة: (قد بقي ابن عمار هُذهداً) [2].

ومن مأثور أقوالها أنها قالت للمعتمد وقد مرض : (يا سيدي ، ما لنا قدرة على مَرضانِك في مرضاتِك) [3] وكانت تقصد ما لنا قدرة على رضاك في حالة مرضك.

ولما سجن أبو القاسم ابن عباد بأغمات[4]. قالت له: يا سيدي لقد هُنا هُنا ، فقال[5]:-

قالت لقد هُنّا هُنا مَولايَ أينَ جاهنا
قُلتُ لها إلهنا صيّرنا إلى هنا

واتفق أن السيدة الكبرى (أمّ بثينة اعتلّت) [6] فكتب المعتمد إلى الطبيب الوزير أبي العلاء زهر بن عبد الملك المتوفي سنة (٥٢٥هـ) راغباً في علاج زوجته إعتماد متمنياً (مطالعة أحوالها بنفسه) [7] . فكتب إليه الوزير مؤدياً حقهُ ومجيباً له عن رسالتهِ ومُسعفاً له في طلبهِ[8]. إلاّ أنّ منيتها لم تمهلها فتوفيت بأغمات

---

(١) المعجب: ص١٢٩ ، وانظر النفح: جـ٥ م٣ ص٣٤٣. الطبرزين: الفأس .
(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٣) المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها. وانظر الدر المنثور: ص٤١.
(٤) المصدر السابق نفسه: والصفحة نفسها.
(٥) النفح : جـ٥ م٣ ص٣٤٣. الدر المنثور : ص٤١.
(٦) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ص١٥٥.
(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

قبل زوجها سنة (٤٨٨هـ) [١] . ودفنت فيها. وجزع المعتمد عليها جزعاً شديداً فأسرعَ اللّحاقَ بها في ربيع الأول من سنةِ ثمانٍ وثمانين وأربعمائة[٢]. وقد زار قبريهما لسان الدين بن الخطيب المتوفي سنة(٧٧٦هـ). وأنشد:- [البسيط]

قد زُرتُ قَبرَكِ عَنْ طَوعٍ بأغمات[٣]

رأيتُ ذلِكَ من أُولى المُهماتِ

وقد زار قبريهما المقّري سنة (١٠١٠هـ) قال:-

(فرأيته في ربوة حسبما وصفه إبن الخطيب وإلى جنبه قبر اعتماد حظيته، مولاة رميك. وعليها هيئة التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك)[٤].

لقد زهت اعتماد في دولة بني عبّاد كما زهت الدولةُ بها. وفي ذلك يقولُ ابن اللّبانة المتوفى سنة (٥٠٧هـ): (إنّ الدولةَ العبّادية بالأندلس أشبهُ شيء بالدولة العبّاسية ببغدادَ سعةُ مكارمَ ، وجمعُ فضائل، ولذلك أُلّفَ فيها كتاباً مُستقلاً سَماهُ (الإعتماد، في أخبار بني عباد) [٥] .. يبدو أن تأثير اعتماد له صدى يُذكر على العَبادين. بحيث ألفت فيها كتبُ وسميت بأسمها، ربما جَمَع فيها أشعارُها ونوادُرها الظريفة. لكنها ضاعتْ . وربما يُعثرُ عليها يوماً فيُرفع الحجاب ويُكشفُ النقاب عن وجه هذه الشخصية الذكيّة الفذة التي شغلت المعتمد بَدلالها وجمالها.

---

(١) اعلام النساء : جـ١ ص٧١.

(٢) الإحاطة في اخبار غرناطة: جـ٢ ص١١٩.

(٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ص١٤٦.

أغمات: مدينتان – أحدهما تسمى أغمات وريكة والأخرى أغمات هيلانة. تقع بارض المغرب بقرب وادي درعة وبينها وبين نفيس مرحلة . انظر الحميرى: الروض المعطار: ص٤٦ (اغمات).

(٤) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ص١٤٦.

(٥) النفح: جـ٥ م٣ ص٣٨٨.

(٣) بثينة بنت المعتمد بن عباد [١] : -

بثينة ، شاعرة نهلت الشعر من ذويها، كما ورثت الجمال عن أمها (الرميكيّة). فوالدها ملك وشاعرٌ مطبوع. والدتها شاعرة ظريفة. فجاءت (نحواً منها في الجمال والنادرة ونظم الشعر) [٢] وكانت (حاضرة الجواب سريعة الخاطر حلوة النادرة) [٣].

إنّ هذه الشاعرةَ ضُمتْ تَحْتَ الشواعر الجواري على الرغم من أنها حرّة من صلب ملوك. لكن الدنيا لا تدوم على حال. كما قيل – حيث وقعت أسيرة في جملة من سبي في قصر أبيها[٤]. فوله عليها المعتمد والرميكية. ولا يعلمان ما آل إليه أمرها[٥]. وبيعت من أحد تجار أشبيلية على أنها جارية سرية وهو لا يعلم من أمرها شيئاً معتقداً أنها واحدة من الجواري. (وأهداها لابنه) [٦] فلما أراد ابن التاجر الدخول عليها، ورأت الجِدَّ في الأمر امتنعتْ وأظهرتْ نسبها وقالت لا أحل لك إلا بعقد

---

(١) النفح : جـ٦ م٣ ص٢٠-٢١. وانظر الدر المنثور: ص٨٩-٩٠ واعلام النساء في عالمي العرب والإسلام: جـ١ ص١١٨ -١١٩. وبشير يموت شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ص٢/٢ط الأدبي ــ ١٩٣٤م. المطبعة الوطنية. عبد البديع صقر. شاعرات العرب : ص ٢٧ــ٢٨ ط. الأدبى ١٩٦٧م. المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: جـ٣ ص١٣٤ – ١٣٥. آ.ر. نيكل: مختارات من الشعر الأندلسي: ص١٠٤ -١٠٦. المرأة في حضارة العرب والعرب في حضارة المرأة: ص٢٤٧ -٢٤٨. المعتمد بن عباد الأشبيلي: ص٨٣. إبراهيم أبو الخشب: تاريخ الأدب العربي في اندلس: ص٢٣٣ -٢٣٥. عمر فروخ : الأدب العربي في المغرب والأندلس: جـ٤ ص٧٢١ – ٧٢٢. الشعر النسوي في الأندلس: ص١٠٢-١٠٣. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه : ص١٦٩ – ١٧١.

(٢) النفح : جـ٦ م٣ ص٢٠.

(٣) اعلام النساء: جـ١ ص١١٨.

(٤) النفح :جـ٦ م٣ ص٢٠.

(٥) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها. وانظر الدرّ المنثور: ص٤١ -٤٢.

(٦) المعتمد بن عباد الاشبيلي: ص٨٣.

يجيزه أبي. (وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لأبيها) [1] وانتظار جوابه. لقد وافق الشاب ووالده على رأي بثينة ووقع عندهما كلامها موقعاً عظيماً وداخله سرور، فكتبت خطاباً ضمنت فيه قصتها كاملة وسردت ما حصل لها في أسى وحسرة (بخطها ومن نظمها) [2] هذه الرسالة بعثت بها إلى أبيها في منفاه تستأذنه في الزواج ممن تحب، (وقد نظمت فيها مآثره وأياديه البيضاء) [3] تألفت من أحدَ عشرَ بيتاً ربما كانت القصيدة كاملة لم يسقط منها شيء. ولا ندري قد تكون أطول ولكن لم يصل إلينا منها- كما ذكرنا – إلاّ هذه الأبيات التي سنذكرها في مبحث لاحق ونكتفي بذكر مطلعها،تقول[4]:-

إسمَعْ كلاَمي وإستمع لمقالتي فهي السلُوكُ[5] بَدَتْ من الأجيادِ

فلما بلغَتهُ مقالةُ ابنته [6] وهو بأغمات واقعٌ في شِراكِ الكُروبِ والأزمَات[7]، يَجتَرُّ أحزانَه هو واعتماد. سُرّا بحياتها ووافقا على الزواج، ورأيا أن ذلك للنفس من أحسن أمنياتها إذ جبركسرها. وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من ابن التاجر وكتب يهنئها ويَتسلّى بحسنِ عاقبة الزمان فيها. وكتب آخر رسالته ناصحاً بثينة المقبلة على الزواج قائلاً[8]: [السريع]

بُنيتي كوني به بَرَّةً فَقَد قضَى الدهرُ بأسعافه

---

(١) النفح : جـ٦ م٣ ص٢٠.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) أثر البيئة في الشعر الأندلسي – عصر ملوك الطوائف : ص٤٤٧ – ٤٤٨.

(٤) النفح : جـ٦ م٣ ص٢٠.

(٥) السلوك : السلك، الخيط (تنتظم فيه حبات من اللؤلؤ وغيرها ليكون عقدا). الجيد: العنق (أعلى الصدر)

(٦) النفح: جـ٦ م٣ ص٢١. المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: جـ٣ ص١٣٥.

(٧) اعلام النساء: جـ١ ص١١٩.

(٨) النفح :جـ٦ م٣ ص٢١.

وعُدّت بثينة رائدة من رائدات القصةَ الشعرية في عصر الطوائف فقد سخّرت شعرها (وجعلته يقومُ مقامَ النثرِ في المراسلات)[1].

وقد بَلَغَتْ هذه الشاعرة من البراعة في الشاعرية والصفاء في الأسلوب المهذب الرقيق مبلغاً استطاعت فيه أن تَنقلَ قصةً واقعيةً من أكثر القصص في التأريخ أسى، وأخذاً بمجاميع الإحساس والخواطر بإطار شعري. فجاء شعرها مُزدانا بفيض من الأسى والرقة. وتبدو بثينة طويلة النَفَسْ، كثيرة النظم قياساً إلى زميلاتها الجواري الشواعر. فقد عثرنا مصادفةً على قطعتين شعريّة ، القطعة الأولى تتألف من ستةِ أبيات في الشكوى من تقلبات الزمان، والثانية تألفت من ثلاثة عشرَ بيتاً في الفَخر بالأمجاد. إن هاتين القطعتين نَبهما الدكتور[2] أ. ر. نيكل في كتابه مختاراتٍ من الشعر الأندلسي. لبثينة بنت المعتمد تحت عنوان (مواعظ تُشير إلى هلاك بني

---

(١) المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة: ص٢٤٧.

(٢) مختارات من الشعر الأندلسي: ص١٠٥ -١٠٦.

* أ.ر.نيكل: مستشرق كبير واستاذ عظيم. يدعى نيكل البوهيمي وهو أحد ثقات العالم المقومين في دراسات اللغة البروفنسية. (لغة جنوبي فرنسا في العصور الوسطى) ولدالدكتور نيكل في بوهيميا عام ١٨٨٥م. ودرس الغات وآدابها والأديان وتاريخها في الجامعات المختلفة ودَرَسَ القرآن الكريم والشعر العربي على شيوخ الأزهر. وقد تخرج عام ١٩٢١ من جامعة شيكاغو باميركا. وخص باللغات الرومانيّة: (الافرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية والبروفنسية والرومانية – لغة أهل رومانية في البلقان). ثم علم هذه اللغات في عدد من جامعات أوربا. وهو يُجيدُ عدداً كبيراً من اللغاتِ الشرقية والغربية. منها العربيةُ واليابانية والتشكية والانكليزية إضافة إلى الرومانية التي ورد ذكرها. لقد طافَ في البلدان للبحث عن المخطوطاتِ. ترجمَ إلى اللغة الانكليزية كتاب طوق الحمامة- ونشر ديوان ابن قزمان القرطبي ونقَل جزءاً منه إلى اللغة الأسبانية. ونشركتاب الزهرة لأبي داود الأصفهاني بالإشتراك مع إبراهيم طوقان الشاعر الفلسطيني المتوفى سنة (١٩٤١).

عباد) . ودرجَها ضمن شعرها. وكان مطلع القطعة الأولى فيَ الشكوى الممزوجة بالمواعظ تقول فيها:- [1]

ما يَعلمُ المرءُ والدُنيا تمرُّ به بأنَّ صَرْفَ ليالي الدهر محذورُ

أما القصيدةُ الثانيةُ. فهي تبدو في غرض الفخر بأمجاد بني عباد ونعيهم تقول[2] في مطلعها:- [الرمل]

رُبَّ رَكبٍ قد أناخوا عِيسَهُمْ في ذُرى مجدهُمُ حينَ بَسَقْ
سَكتَ الدهرُ زماناً عنهُمُ ثُمَّ أبكاهُمْ دماً حين نطقْ

إلاّ أنهُ لم يُشرُ إلى المصدر الذي أستقى منهُ هذه الأشعار. وبعد البحثَ والاستقصاء عثَرنا على بيتين اشارَ إليهما المقّريِ في النفح لمؤلف مجهول قال هذه الأبيات في منامه[3]. ونحن من جانبنا لا نشك في نسبة هذه الأبيات التسعة عشر إليها. معتقدين أنّها هي التي نَظَمَتْها. لِمَا لَسِنا فيها من نَفَسٍ نسوي. كما نَمَتْ بعضُ أبياتها على أن قائلها لابدَّ إنه قد ذاقَ مُرَّ الأسر بعد الحريّة وَحُرِمَ من المُلكِ والجاه .. فعبّرت عن كلِّ ذلكَ حين قالت[4]:-

حَنِقَ الدهرُ علينا فَسَطا وكذا الدَهرُ على حُرَ حَنِقْ

---

(١) مختارات من الشعر الأندلسي: ص١٠٥.

(٢) المصدر نفسه : ص١٠٦.

(٣) ورد في النفح: جـ٥ م٣ ص٣٩٢، قال (ويُحكى أنَّ رَجلاً رأى في منامه أثرُ الكائنة على المعتمد بن عباد كأن رجلاً صَعَدَ منبرَ جامعَ قرطبةَ فاستقبلَ النّاسَ وأنشَدَ هذه الأبيات متمثلاً:-

رُبَّ ركب قد أناخوا عيسهم في ذرا مجدهُمُ حينَ بسق
سكتَ الدهرُ زماناً عنهم ثُمَّ ابكاهم دماً حين نطق

(٤) مختارات من الشعر الأندلسي : ص١٠٦.

وقَديماً كُلِفَ المُلكُ بِنـا ورأى مِنّا شموساً فَعشِـقْ

وربما أشارت إلى حقائق تاريخيةٍ منها أن حكم آل عباد دام سـبعينَ عامـاً. والحقيقة الثانية إنها عاشت في قصر والدها ثلاثا وعشرين حجة ثم وقعت في الأسر. أي أنّها حين أُسِّرت كان لها من العمرِ ثلاثةٌ وعشرون عاماً. وإلـى ذلـك اشـارت قائلة[1]:- [الرمل]

حِجَجاً عَشْراً ، وعشرا بَعدَها وثلاثينَ وعشـرينَ نَسَـقْ

أشرَقتْ عِشرونَ من أنفسِـنا وثـلاثٌ نيّـرات تـأتلِقْ

أضِفْ إلى ذلكَ أنَّ القطعتين الشعريتين يَلوحُ فيهما نمـطُ قصصـي شـعري كنمط قصيدتِها الأولى التي بعثَتها إلى ذويها. ربما كان هذا دليلاً آخر علـى صـحة نسبتها إلى إبنة المعتمد بن عباد كما أشار نيكل[2].

إنَّ هذه الشاعرة التي اتسم شعرها بالواقعيّة كانت طويلة النَفس مبتعـدة عـن التزويق في التعبير وسنذكر قصائدها في فصل شعر النساء.

---

(١) مختارات من الشعر الأندلسي: ص١٠٦

(٢) اشار الدكتور عمر فروخ في مقدمة كتاب الشعر الأندلسي – قائلاً (ومن كتبه القيمـة كتـاب الشعر الأندلسي ، وهو الكتاب الذي كانت هذه المختارات نصوصاً ونمـاذج وشـواهد لـه. المصدر نفسه: ص٥ وانظر ص٣:

Hispano – Arabic poetry and its Relations with the old provencal Troubadours, by Dr. A. R. Nyk١, Baltimore, ١٩٤٦.

(٤) أُنس القلـــــــوب[١] :-

وكما لاحظنا فإنّ أسماءَ الجواري كانت متميزة خاصة بِهـنّ . ذاتُ جَـرسٍ موسيقي عذب، ورنينٍ رقيق أنيق، يَتّخذونه لها لكي يرتفعَ ثَمَنها، حين تُعْرَضُ للبيعِ . بعد تدريبها على المهنة أو الفن.. وهذه الجاريةُ واحدةٌ منهن ، حملـت هـذا الاسـم اللّطيف فذاع صيتها. وكانت عند المنصور[٢] بن أبي عامر المتوفى سنة (٣٩٢هـ).

وفي أحد مجالسَ الشرابِ بعدَ أن دَارتْ الكؤوسُ غَنّـت أُنـسُ القلـوب[٣]:- [الخفيف]

قَدِمَ الليلُ عِندَ سَيرِ النهارِ ... وبَدا البدرُ مثلَ نصف سـوارِ
فكأن النهارَ صـفحةُ خـدٌ ... وكأنَّ الظـلامَ خَـطُّ عَـذارِ

---

(١) نفح الطيب: جـ٢ ص١٤٦ -١٤٧. طـ. محمد محي الدين عبد الحميد. اعلام النساء: جـ١ ص٩٧ - ٩٨ - ٩٩، وانظر :-
عبد البديع صقر : شاعرات العرب: ص٢٠ . بشير يموت شاعرات العـرب فـي الجاهليـة والاسلام : ص٢١١. نيكل : مختارات من الشـعر الأندلسـي: ص٣٨ - ٣٩. المـرأة فـي حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة: ص٢٥٧. عمر فروخ: تاريخ الأدب العربـي فـي الأندلس: جـ٤ ص٤٨٩.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن أبي عامر. كان ابن أبي عـامر ذا عقـل ورأي وشـجاعة وبصـر بالحروب. بني لنفسه مدينة سماها (الزاهرة) وامرا أن يُحيّا بتحية الملوك. وتسمى بالحاجـب المنصور. وكان أديباً شاعراً. محبا للعلوم مؤثرا للأدب. مكرما للشـعراء والأدبـاء. وكـان للمنصور مجلس يجتمع فيه كل اسبواع مع أهل العلم والمناظرة. توفي سنة (٣٩٢هـ).
أنظر نفح الطيب: جـ١ م١ ص٣٧٢ -٣٧٣ - ٣٧٦، وانظر المصـدر نفسـه : جـ٢ م١ ص٧١.

(٣) مختارات من الشعر الأندلسي: ص٣٨ -٣٩. شاعرات العرب: ص٢٠ شاعرات العرب فـي الجاهلية والإسلام: ص٢١١.

سنذكر القطعة كاملة لاحقاً. وعندما أُنشدت أغنيتها هذه أعجب بها أبو المغيرة[1] عبد الوهاب بن حزم المتوفي سنة (٤٢٠هـ) وكان حاضراً فارتجل على الفور أبياتاً بعد أن عرَف أنه المعني بالأبيات:- [الخفيف]

كيفَ كيفَ؟ الوصولُ للأقمارِ ... بَين سِحر القَنا وبين الشِفارِ
لو علمنا بأنَّ حُبّكَ حَقٌ ... لطلبنا الحياةَ منكِ بثارِ
وإذا ما الكرامُ همّوا بشيءٍ ... خاطروا بالنفوسِ في الأخطارِ

فلما سَمِعَهُ المنصورُ غَضِبَ وأرادَ أنْ يَقْتُلَ الجارية. لكنها بَكَتْ. فأمرَهَا بالإعتراف وقال: قولي وإصدقي إلى مَنْ تُشيرينَ بهذا الشوقِ والحنينِ؟؟

فقالت الجارية: "إنْ كانَ الكذبُ أنجي فالصدقُ أحرى وأولى، والله ما كانت إلاّ نظرةٌ ولدت في القلبِ فكرة، فتكلَّم الحبُّ على لساني وَبَرِحَ الشوقُ بكتماني، والعفوُ مضمونٌ لديكَ عند المقدرةِ، والصَفحُ معلومٌ مِنكَ عِندَ المعذرة. ثمّ بكَتْ فكأنَّ دَمْعهَا دُرَرٌ تَناثَر من عِقْدٍ أو طلٌ تساقط من وَردٍ"[2]

قال أبو المغيرة على لسانها أبيانا: [المجتث]

---

(١) جذوة المقتبس: ص٢٧٣، ترجمة (٦٥٨). الذخيرة: م١ ق١ ص١٣٢ -١٤١ . النفح : جـ٣ م٢ ص١٥٦.

أبو المغيرة: عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن حزم وهو ابن عم الفقيه ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ) . وكان من المقدمين في الشعر والأداب والبلاغة: وكان شاعراً وجدانياً فحلاً مكثراً غير أن شهرة ابن عمه قد غطت عليه فخمل ذكره. انظر: جذوة المقتبس: ص٢٧٣ ترجمة (٦٥٨)، وانظر بغية الملتمس: ص٣٨٠ ترجمة (١١١٠). ذكر عمر فروخ في تاريخ الأدب العربي: جـ٤ ص٤٨٨. إن وفاته وقعت سنة (٤٣٨هـ) . ولد بقرطبة. وهرب إلى بلاد الثغر (شمال الأندلس) وتوفي بطليطلة). ترجم له ابن بسام في الذخيرة ترجمة وافية. انظر : م١ ق١ ص١٣٢ – ١٦٦ في المصدر نفسه.

(٢) أعلام النساء: جـ١ ص٩٧ – ٩٨ – ٩٩.

أذْنَبْتُ ذَنْباً عَظِيمـاً فَكيف منْـهُ إعتـذاري[1]
واللهُ قَـدَّرَ هَـذا ولَـمْ يَكُـنْ باختيـاري
والعَفوُ أحْسَنُ شيءٍ يَكـونُ عِنْـدَ اقتـدارِ

قِيلَ: لَمّا سَمِعَ المنصورُ الشِعرَ، صَرَفَ وَجْهَ الغَضَبِ، إلى الوزير الكاتب أبي المغيرة، فقال الوزير للمنصور: أيَّدَكَ اللهُ تَعالى – إنما كانت هَفـوة، جَرّهـا الفكـرُ. وصبوةً أيدها النظرُ . ليس للمرءِ الاّ ما قَدّرَ له ما اختارَ وأمله. فـأطرَقَ المنصـورُ قَليلاً ثم عَفا وصفَحَ عن الوزيرِ ، ووَهَبَ أُنسَ القلوب إليه.

إنَّ أُنس القلوب أبدت ذكاء مفرطاً ، فهي على ما يبدو موهوبة فطنة، سريعة الخاطر. سَخَّرتْ شاعريتها بذكائها فاستطاعت أن تَصلَ إلى من تبتغي وتحقّقَ آمالهـا .. دون عناء .

لَمْ يَصلْ إلينا من شعرها إلا تسعةُ أبياتٍ، ثلاثةٌ منها نُسبَتْ [2]إلى أبي المغيرة وقد وضعها على لسانها.

لقد إعتدّت الجارية بنفسها بحيث أصبحت تستغل الشعر للإفصاح عن عاطفتها وغرامها، وتتخذه وسيلة للغناء ولتصوير جمالها وما أُوتيت من سحر وفتنة، لتَقْتَنص قلوب الرجال وتدعوهم للإعراب عن اقتَانهم بمواهبها.

(٥) غايـــة المنى[3] :-

وغاية المنى جارية أندلسية متأدبـة[4] . لبيبـة ، تقـولُ الشـعرَ وتُحْسِـنُ المحاضرة[5]. (متخرّجة في فُنونِ الغناءِ، لها صوتٌ حَسَنٌ وصنعةٌ جيدةٌ بالأصـواتِ،

---

(١) مختارات من الشعر الأندلسي: ص٣٩ ، شاعرات العرب: ص٢٠. شاعرات العب في الجاهلية والإسلام: ص٢١١.
تاريخ الأدب العربي في الأندلس : حـ٤ ص٤٩٠.
(٢) مختارات من الشعر الاندلسي: ص٣٩.
(٣) النفح : جـ٦م٣ ص٢٢ – ٢٣ . الدر المنثور: ص٣٥٥. اعلام النساء: جـ٤ ص٥ . الشعر النسوي: ص٩٥ –٩٦. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه : ص١٤٦ – ١٤٧.
(٤) النفح : جـ٦ م٣ ص٢٢.
(٥) المصدر نفسه: جـ٦م٣ ص٢٣. إعلام النساء : جـ٤ص٥.

وكان أكثرَ غنائها من أصوات عريب)[1]. لذا رجّح أحد الباحثين[2] على أنّها من مولداتِ الشرق، لغنائها من أصواتهم. لكننا نراه مُغالياً في نسبتها للشرق بسبب تأثرها بمطربيهم كـ(عريب) عِلْماً أنّ عُرَيْباً كانت من مطربات القَرن الثالث الهجري. وغايةُ المنى عاشت ضمن فترة القرن الخامس الهجري، لأنها عاصرت المعتصم بالله أبا يحي محمد بن معن صمادح المتوفي سنة (٤٨٤هـ)[3]. إنّ هذه الشاعرة أندلسية لكنها – قد تأثرت بأصوات زرياب بعد أن ترك أكثر من مئة لحنٍ. واضافَ إلى العودِ الوتر الخامس .. وقلّده الأندلسيون وتأثروا به.

ولا نغفل الحقيقة، بأننا لا نستطيع الوصول إلى صحة تاثرها. سواء أكان التأثر بعريب أم بزرياب، لأنه لم تصل إلينا ولا أغنية من أغانيها. قيل:[4] إن المعتصم بن صمادح الذي كان يعمر أندية اللهو والغناء قدمت إليه، فأراد إختبارها. فقال لها ما اسمك؟ فقالت: غاية المنى. فقال لها: أجيزي . إسألوا غاية المنى؟

فأجابَتْ بسرعةِ بديهةٍ، ورِقةِ خاطرٍ، وحُضور نادرٍ: [مجزوء البسيط]

مَنْ كَسَا جِسميَ الضنَا

وأراني مُولِهاً سيقولُ الهوى أنا

---

(١) الدر المنثور : ص٣٥٥. المرأة في حضارة العرب: ص٢٥٨.

(٢) المرأة في حضارة العرب : ص٢٥٨.

* عريب المأمونية: شاعرة مجيدة ، ومغنية محسنة . ذاتُ فصاحة ، وبلاغةٍ وحُسنٍ وجمال. قيل إنّها ابنةُ جعفر بن يحي بن خالد البرمكي. سُرِقَتْ وهي صغيرةٌ وبِيعت فاشتراها الأمين محمد بن الرشيد ثم اشتراها اخوه المأمون عبد الله. توفيت سنة (٢٧٧هـ) . انظر ابن الساعي : نساء الخلفاء : ص٥٥ –٦٣. وانظر المرأة في الأدب العباسي: ص٤١٥.

(٣) المعجب : ص٧٤.

(٤) قلائد العقيان: ص٥٣ طـ. باريس قدم له محمد العنابي. والنفح : جـ٦ م٣ ص٢٢.

فأُعجِبَ بما بَدا منهامن ذكاءٍ نادرٍ . واجتيازها الإمتحان برقةٍ وسحرٍ فاشتراها.

وقد رويت هذه الحكاية بصيغةٍ أخرى تخالف الرواية السابقة نَقَلَها المقَرّي[1] عن صاحب التكملة . قال ما معناه:

عندما سيقت غايةُ المنى إلى المعتصم بنِ صمادح وكانت، لبيبةً تقولُ الشعرَ وتُحسنُ المحاضرةَ. أمرَ باختبارِ ذكائها، وطَلَبَ أن تُحمَلَ إلى الأُستاذ ابنْ الفرّاء الخطيب وكان كفيفاً.

فلما وصلت إليه قال: ما اسمك؟ فقالت : غايةُ المنى، فقال أجيزي:-

سَلْ هَوى غايةِ المنى مَنْ كَسَا جِسمِيَ الضنَا

فقالت تجيزه:

وأراني مُتيّمـــاَ سَيقولُ الهوى أنَـــا

فَحَكى ذلك لابن صمادح، فاشتراها بمائةَ ألف درهم، وكانت محظية عنده إلى أن ماتت[2]. ولم تذكر سنة وفاتها.

إن هذه الجارية الشاعرة المغنية . السريعة الخاطر لم يقع بين أيدينا من آثار شعرها سوى هذا البيت اليتيم. الذل دلّ على رقة الشعور ورهافة الإحساس وخفة الروح وقوة الظرف. ولابدّ أن يكون لها شعر آخر، ولا ندري ماذا حلّ ؟ وأين ذهب نتاجها؟!

---

(١) النفح: جـ٦ م٣ ص٢٣. اعلام النساء: جـ٥ ص٥. الشعر النسوى في الأندلس: ص٩٥ – ٩٦. *ابن الفراء : الأخفش بن ميمون أصله من القبذاق ، وتأدب في قرطبة وله أمداح في إبن التَغْريلي. أُنظر المغرب: جـ٢ ص١٨٢ – ١٨٤. ولنظر هامش الذخيرة : م٢ ق١ ص٧٦٠.

(٢) الدر المنثور: ص٣٥٥.

(٤) عُتْبَـــــةُ[١] :-

وهي جاريةُ الأميرةِ الشاعرةِ ولاّدةَ بنـت المسـتكفي التـي تُوفيـت عـام (٤٨٤هـ). وسنتكلمُ عنها مُفصلاً في مبحثٍ لاحق.

أغفلت المصادرُ هذه الجارية ولم تَذكرْ أخبارها، وَسكَتَتْ عن أشعارها أيضاً. قيل : كانت جارية سوداء ، بديعة الغناء[٢].

وفي أحد مجالس اللهو والأُنس، وبعد أن سَعُدَ ابن زيدون بلقائه مع صـاحبته ولاّدة. غنت (عُتبة) وتَرنّمتْ منشدة[٣]:- [الطويل]

أحِبَّتَنا ، إنّي بَلَغْتُ مُـؤمّلي وَساعَدَني دَهري وواصلني حُبّـي
وجاء يُهَنيتي البشيرُ بقربهِ فأعطيتُهُ نفسي وزدتُ لـه قلبـي

فَطَلَبَ ابنُ زيدونُ من عُتبةَ الإعادةَ[٤]، بغيرِ علمِ ولاّدةُ. فَضَـجِرَتْ الأخيـرةُ وظَهرَ عليها التجهُّم وغَارَتْ غيرةً[٥] شديدةً ، بعد أن ظَهَرَ لـولاّدةُ منـهُ ميـلٌ إلـى الجاريةِ. وكان هذا سبباً مباشراً في نُفور ولاّدة من حُبّها لأبن زِيدون.

---

(١) ديوان ابن زيدون: ص١٢٠ تحقيق علي عبد العظيم. والذخيرة: م١ ق١ ص٤٣١. خليل بـن أيبك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابـن زدون: ص١١. فـوات الوفيـات: جـ٥ ص٢٥١. أنيس الجلساء: ص١٠٢. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ٢٢٦.

(٢) الذخيرة : م١ ق١ ص٤٣١. تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون: ص١١.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص١٢٠.

(٤) أبو القاسم محمدكرو: شوقي وابن زيدون في نونيتيهما: ص١٦ مطبعة الترقـى – القـاهرة – ١٩٥٦.

(٥) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ص٢٠٦.

لقد رجّحَ محققُ ديوان إبن زيدون أن البيتين اللّذين غَنتهما عتبة صاغهما لتشدويهما عتبةُ وصيفةُ ولاّدة في خَلَسات اللقاء. وعلَّقَ مُحقق الذخيرة الدكتور إحسان عباس بقوله (أثبتهما ناشرديوانه: على أنهما من شعره وليس ثمة ما يؤكد ذلك) [1]. ولا نَعلمُ أيهم نَظمَ الأبياتِ ولكننا نعتقد أنها مِنْ نَظمِ عتبة. وإلاّ لم لم تخبر عتبة مولاتها بأن الأبيات من نظم ابن زيدون بعد أن أنهالت عليها ضرباً. وربما كان حلا للأشكالِ الذي وقع بينهما.

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله: ص١٢٠. تحقيق علي بعد العظيم.
انظر هامش الذخيرة : م١ ق١ ص١٣١.

المبحث الثاني

الشـــواعر الحرائـــر

توطئـــــــه:

١- الغسانيّة البجُانيّة.

٢- مريم بنت أبي يَعقوب.

٣- أمّ العلاء بنت يوُسف الحجاريّة.

٤- أمّ الكرم بنت المعتصم بن صمادح.

٥- صفية بنت عَبد الله الربىّ.

٦- مهجة بنت التياني.

٧- قسمونة بنت إسماعيل.

٨- تزهون بنت القلاعي.

٩- وَلاّدة بنت المستَكفي.

توطئـــــــة:-

طالعتنا جملة من الشواعر الحرائر اللائي عشن فترة سبقت عصر الطوائف منهن الأديبة مزنة[1] . التي توفيت سنة (٣٥٨هـ). وصل إلينا اسمها ولم يصل شيء من شعرها. ولذكائها وفطنتها وحسن خطها شغلت منصب سكرتيرة عند الأمير الناصر لدين الله. ومن الشواعر الحاذقات لبني [2] كاتبة الحكم بن عبد الرحمن التي شاركت في ضروب العلوم كالنحو والحساب والعروض واتقنت فن الخط والكتابة ، وتوفيت سنة (٣٧٤هـ). أما الأديبة الفاضلة أسماء[3] بنت غالب التي كان والدها فارس الأندلس وحاجبها فقد تزاحم الرجال للزواج منها تقرباً من والدها كأبي الحسن جعفر بن عثمان[4] المصحفي المتوفى (٣٧٢هـ) والمنصور بن أبي عامر المتوفى (٣٩٢هـ) الذي ارتبط بها . ولكننا لم نسعد بنتاجها.

بدت الشاعرة الحرة أسعد حظاً وارفع مكانةً واوفر انتاجاً، من الشاعرة الجارية عند الرواة والمؤرخين القدماء. ربما نظروا إليها نظرة اختلفت عن نظرتهم للشاعرة الجارية، ولقد بلغت حرائر القرن الرابع الهجري مكانة رفيعة فقد قيل عن

---

(١) بغية الملتمس : ص٥٣٠ ترجمة (١٥٩٠). السيوطي : بغية الوعاه: ص٣٨٣ طـ- ١- السعادة. تحقيق أحمد بن الأمين الشنقيطي - ١٣٢٦هـ.

(٢) المصدر نفسه: والصفحة نفسها والترجمة (١٥٨٩).

(٣) الذيل والتكملة القسم المخطوط بالرباط تحت رقم (١٧٠٥د) نقلا عن الشعر النسوى: ص١٥٦. نفح الطيب : جـ١ ص٤٠٠ وجـ٤ ص٨٩.

(٤) محمد محمود يونس : ما تبقى ن شعر الحاجب المصحفي: ص١٧٥ -١٧٦. المصحفي: أبو الحسن جعفر بن عثمان علم من اعلام القرن الرابع الهجري في الأندلس له دور بارز في الأحداث السياسية. نكب في أخريات حياته على يد المنصور بن أبي عامر فاعتقله وصادر أمواله ليس له ديوان . جمع ما تبقى من شعره محمد محمود يونس في بحث نشره في مجلة آداب المستنصرية - العدد الثاني عشر - ١٩٥٨م. ص١٧٥ - ٢٠٣.

عائشة بنت أحمد بن محمد قادم القرطبية[1] التي توفيت عام (٤٠٠هـ) . إنّها لَم يَكنْ في زَمانها من حرائرَ الأندلس من يَعْدُ لَها فَهماً وأدباً وشعراً. واثبتت جداره في حُسن الخطّ . فكتبت المصاحف[2] ونقلت المخطوطات .. وقيل إنّها كانت تملك مكتبة[3] خاصة مؤلفة من أنْفَسِ الآثار التاريخية والفنيّة التي نقلتها هي ببراعتها.

لقد عزفت هذه الشاعرةُ عن الزواج وربما شَكَّلَ هذا ظاهرةً عند حرائر القَرن الخامس الهجري واتخَذَنَها قدوةً لَهُنّ[4].

وهناك شاعرة معاصرة لعائشة وهي رائدة من رائدات الغزل في الأندلس. وفاضلة من الفاضلات تُدعى حفصة بنت حمدون الحجارية[5]. من أهل وادي الحجارة . لقد إعتزَبها بَلَدها لما وَصَلتْ إليهِ من المكانة الأدبية. فإسترَقَّتْ القلوبَ بالفاظَها الزاهرة وسَكَرَتْ العقولُ بمعانيها الساحرة، نَظَمَتْ فأتَتْ بكل عجيب وَجَلَتْ غياهِب المُشكلات بِفكرِها الصائبِ الأريب.

لقد فَتَحَتْ هذه الشاعرةُ للمرأةِ الأندلسية باباً لم تَكُنْ قد جَرأت على طَرقهِ بعد . وَجَنَّدَتْ شِعرها لحياتِها العاطفية.. وكان لهن شعراءُ أكتُوا بنارِ حبهن، وجاء أكثرُ شعرهُن في الغَزلِ والهِجاءِ. فهل هذه الظواهر استمرت في شعر المرأة خلال القرن الخامس؟ هذا ما سنراه عند اطلاعنا على تراجمهن.

---

(١) الصلة: جـ٢ ص١٩٢ طـ. الدار المصرية . وانظر المصدر نفسه: جـ٢ ص ٦٥٤ طبعة بيروت – ١٩٥٥ . نزهة الجلساء : ص٧١ –٧٣ . النفح : جـ٦ م٣ ص٢٦. اعلام النساء: جـ٣ ص٦ . الاعلام: جـ٣ ص٢٣٩ –٢٤٠. مختارات من الشعر الأندلسي: ص٤٣. سلمى الحفار: في ظلال الأندلس: ص١١٣.

(٢) نزهة الجلساء : ص٧١ . النفح : جـ٦ م٣ ص٢٦. الدر المنثور : ص٢٩٢ .

(٣) الصلة : جـ٢ ص١٩٢. طـ. الدار المصرية.

(٤) انظر نزهة الجلساء : ص٧١. النفح : جـ٦ م٣ ص٢٦.

(٥) النفح: جـ٦ م٣ ص٢١ –٢٢ . الدر المنثور : ص١٦٥.

(١) الغسّانية[١] البجانيّة :-

هذه الشاعرة "إسمها الغسانيّة" وتوهم أبو القاسم خلف بن عبد الله ابن بشكوال المتوفى سنة (٥٧٨هـ) حين قال: ذكرها الحميدي المتوفى سنة (٤٨٨هـ) ولم يذكر إسمها [٢]. وتبعته الأديبة زينب فواز المتوفاة سنة (١٩١٤م) حين قالت: (لم أقف على اسمها الحقيقي) [٣].. والحقيقة أن اسمها واضح "الغَسانيّة" ولقبها البجّانيّة، نسبة إلى بجانة[٤] هي كورة عظيمة في الأندلس وتشتهر بإقليم المَريّة. لم تذكر سنة ولادتها ولا سنة وفاتها. وقد جاء في المغرب نقلا عن حافظ الأندلس عبد الله بن إبراهيم الصنهاجي الحجاري[٥]. أبي محمد المتوفى سنة (٥٨٤هـ) في المسهب (إنها كانت في مدة ملوك الطوائف) [٦]. وأشار محقق المغرب الدكتور شوقي ضيف إلى

---

(١) انظر جذوة المقتبس: ص٣٣٨ ترجمة (٩٨٥) وبغية الملتمس : ص٥٢٩.
الصلة : جـ٢ ص٦٩٦. المغرب: جـ٢ ص١٩٢. النفح :جـ٥ ص٣٠٢ -٣٠٣ . الدر المنثور : ص٣٥٦. اعلام النساء: جـ٤ ص١٠. الشعر النسوي في الأندلس: ص٩٢ -٩٣ . الادب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ص١٤٤ -١٤٥.

* الغسانيّة من غسن والغسنة: الخصلة من الشعر. ويدل على الحسن أيضاً وغسان : اسم ماء نزل عليه قوم بن الأزد فنسبوا إليه. أو اسم قبيلة. فيقال للمذكر غسان والمؤنث غسانة وعلى ما نعتقد يمكن ان يكون الغسانية اسماً لها ويمكن ان يكون اسماً لقبيلة. انظر اللسان مادة (غسن): جـ١٣ ص٣١٢ -٣١٣ . طـ. دار صادر.

(٢) الصلة : جـ٢ ص٦٩٦.

(٣) انظر الدر المنثور : ص٣٥٦.

(٤) اعلام النساء: جـ٤ ص١٠.

(٥) النفح : جـ٥ م٣ ص٢٥٩ -٢٦٠. توصل د. حسين مؤنس من تسلسل الأحداث التاريخية إلى تقدير ولادته بحوالي سنة (٤٦٧هـ) ووفاته سنة (٥٥٠هـ) . د. أحمد سوسة الشريف الأدريسي في الجغرافية العربية : جـ٢ ص٣٤٨.

(٦) المغرب : جـ٢ ص١٩٢.

أن المقرّي[1] ذهب سهوا حين جعلها من أهل المائة الرابعة . وتبعه بعض المحدثين[2] في سهوه. إلا أن صاحب كتاب الشعر النسوى في الأندلس[3] عدها (من الشاعرات المخضرمات) [4] ودليله كان القصيدة التي مدحت [5] بها خيران العامري[6] المتوفي سنة (٤١٩هـ) . فالشاعرة سلخت أعواماً من عمرها في القرن الرابع وعاصرت فترة ملوك الطوائف في القرن الخامس. إنّ هذه الشارعة الأديبة المدّاحة التي مدحت الملوك. كانت مشهورة[7]. (بظرفها وأدبها وجمال لطفها وبهائها وكمالها) [8] وكانت عالمة بضروب الشعر وروايته) [9] وهي من الشاعرات (الموصوفات) [10] بالأندلس. وقد عارضت[11] الشعراء . ونونيتها (الطويلة) الرائعة التي لم تصل إلينا منها إلاّ أبيات قليلة. عارضت بها الشاعر الأندلسي أبا عمر[12] أحمد بن دراج القسطلي المتوفي سنة (٤٢١ هـ) في الغرض نفسه. فقد مدح خيران

---

(١) النفح : جـ٥ م٣ ص٣٠٣.

(٢) الدر المنثور: ص٣٥٦. شاعرات العرب: ص٢٨٩.

(٣) محمد منتصر الريسوني: الشعر النسوى في الأندلس: ٩٢.

(٤) المصدر نفسه. والصفحة نفسها.

(٥) جذوة المقتبس : ص٣٨٩ ترجمة (٩٨٧). بغية الملتمس: ص٥٢٩.

(٦) خيران العامري: من موالي العامريين حكم المرية ومرسيّة من (٤٠٥ - ٤١٩هـ). وكان من جملة فتيان المنصور بن أبي عامر. توفي سنة (٤١٩هـ).

(٧) بغية الملتمس : ص٥٢٩. الصلة: جـ٢ ص٦٩٦.

(٨) الدر المنثور: ص٣٥٦.

(٩) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(١٠) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(١١) جذوة المقتبس : ص٣٨٩ ترجمة ٩٨٧. بغية الملتمس: ص٥٢٩. الصلة : جـ٢ ص٦٩٦ (عارضت ابن دراج القسطلي).

(١٢) انظر المصادر السابقة : والصفحات نفسها.

العامري المتوفى (٤١٩هـ). وقد نص ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) على أنه نظمها في سنة (٤٠٧هـ) [١] يقول فيها [٢]:- [الطويل]

لكَ الخيرُ ، قد أوفى بعهدكَ خَيْرانُ وبَشْراكَ قَدْ، آواكَ عِزٌّ وسُلطانُ
هو النجمُ لا يُراعى إلى الصُبحِ شاهِدٌ هو الفوزُ لا يُبغى على الشمسِ بُرهانُ

عارضت الغَسانيةُ القصيدةَ القسطلية بقصيدةٍ طويلة لم يصل إلينا منها إلاّ أبيات هي عبارة عن مقدمة للمدح في الأمير خيران العامري المتوفى (٤١٩هـ). نكتفي بذكر البيت الأول منها تقول [٣]:- [الطويل]

أتجزَعُ إنْ قالوا ستَرْحلُ أظعانُ وكَيفَ تُطيقُ الصَّبرَ ويحكَ إذْ بانُوا

سنذكر بقية الأبيات في الغَزَل من شعرِ النساء في فصل لاحق.

ويقال إن لها قصائدَ وأشعارًا غير هذه [٤]. ويعلل أحد الباحثين [٥] وجودها بين طياتِ مصدرٍ مطبوع أو مخطوط لم يتمكن من الحصول عليه. وبهذه المناسبة لابد أن نُدينَ الرواةَ والمؤرخين في إصرارهم على إهمالِ الجيد والمنتقى من أشعارهن وتسليط الضوء على المبتذل منه فقط لإخمادِ النهضة الأبية والشعرية

---

(١) أعمال الأعلام: ص٢١٢.

(٢) ديوان ابن دراج القسطلي: ص٨٦. تحقيق محمود علي مكي.

(٣) بغية الملتمس: ص٥٢٩. الصلة: جـ٢ ص٦٩٦. المغرب : جـ٢ ص١٩٢ وهذا البيت لم يرد في النفح ، والذي نقل عنه لم يذكره أيضاً كالدر المنثور :ص٣٥٦. وأعلام النساء: جـ٤ ص١٠.

(٤) الدر المنثور: ص٣٥٦.

(٥) الشعر النسوى : ص٦٣.

عندهن وأقصدُ الحرائر منهن . فهذه الشاعرة الموصوفة لم يصل إلينا من شعرها إلاّ ستةُ أبياتٍ نَصتْ عن قوةٍ وتمكنٍ وأصلةٍ في الشعر.

(٢) مريم [١] بنت ابي يعقوب :-

مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري[٢] الفصولي الشلبي[٣]. وتسمى مريم الشَلْبيّة. أصلها من شِلب[٤] (Silves) على ما قيل . وسكنت أشبيلية[٥] وأقامت فيها واكتسبت شهرتها منها. لقد أجمعت المصادرُ على أنها كانت (تعلم النساء الأدب) [٦]

---

(١) وردت أخبارها في جذوة المقتبس: ص٣٨٨ -٣٨٩. وبغية الملتمس : ص٥٢٨ -٥٢٩. الصلة : جـ٢ ص٦٩٤-٦٩٥. المطرب في أشعار أهل المغرب: ص(س-ع). طـ . القاهرة ١٩٥٤ . السيوطي : نزهة الجلساء في أشعار النساء : ص٩٠ -٩٢ . النفح : جـ٦ م٣ ص٢٧. الإعلام: جـ٧ ص٢١طـ الخامسة - ١٩٨٠. الدر المنثور : ص٥١٠. إعلام النساء: جـ٥ ص٤٧. المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: جـ٣/ ص١٣٣. بشير يموت شاعرات العرب فى الجاهلية والإسلام: ص٢٢٢ . شاعرات العرب: ص٣٩١ . المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة : ص٣٣٩. إبراهيم أبو الخشب : تاريخ الأدب العربي والأدب في المغرب والأندلس: جـ٤ ص٣٥٠ -٣٥١ . الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ص١٦٧ - ١٦٨.

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب: ص (س.ع) . والنفح: جـ٦ م٣ ص٢٧.

(٣) جذوة المقتبس : ص٣٨٨. وبغية الملتمس : ص٥٢٨. الصلة : جـ٢ ص٦٩٤. نزهة الجلساء : ص٩٠.

* سميت في جذوة المقتبس، وفي بغية الملتمس : الفُصُولي (بضم الفاء والصاد) وفي الصلة ونزهة الجلساء : الفَيْصَوَلي. (بضم الفاء وفتح الصاد).

(٤) شلب: تقع غرب الأندلس. ومن بلادها . وهي قاعدة كورة اكشونبة وهي بقبلي مدينة باجة. ولها بسائط فسيحة وبطائح عريضة وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن . انظر الروض المعطار: ص٢٤٢.

(٥) النفح : جـ٦ م٣ ص٢٧.

(٦) بغية الملتمس: ص٥٢٨. الصلة: جـ٢ ص٦٩٤. النفح : جـ٦ م٣ ص٢٧.

وكانت تغدو على بنات سادات إشبيلية تعلمهن الشِّعر[1] فهي بحق أستاذة من أستاذة الشعر في ذلك العصر[2].

كما اكتسبت بينهنّ صفةً محمودةً لنُبلِ خُلْقِها وَحُسنِ سيرتَها. فقد كانت (صدر نبهائها وأُدبائها وممن لَهُنَّ قَدَرُ منجبيها)[3] ولا ندري ربما تَخَرّجَ من مدْرستها طائفة من النساء الشهيرات. لقد إحترمها وأجلّها عُظماءُ بَلَدِها لأنّها كما قيل (إحتشَمَتْ لدِينها وفضلها)[4] ولربما لسموّ أدبها واجادة شرفها وعِفّتها. فهي أديبةٌ شاعرةٌ جزلةٌ ، وقيل عنها : (سَرِدَتْ البديعَ أحسنَ سَرد وافترستْ المعاني كالأسدْ الورِدْ. وَمَدَحَتْ مُلوكهـا. فقد طَوَقَتْهُم من مدائحها قلائد. وفَتْ إليهم من معانيها خَرائد. وجَلَتْها عليهم كواعب بالألباب لواعب فأسالتْ العوارف، وما تقلص لها من الخَطْوَةِ ظِلٌّ وارفُ)[5] . وكانت تمدح الملوك وتساجلهم فيجيزوها من أموالهم . وهداياهم ومن حليهم وحللهم. وبعث إليها (المهند)[6]، وقيل : (إبن المهند)[7] وقيل : لمهدي)[8]. بقرطاس فيه دنانيرُ وعددٌ من الأبيات الشعريّة ، ردّاً على جَوابها. جاء فيه ما يُؤكد ظُرفها وثقافها ووصولها إلى درجة من الوَرَعِ بحيث شُبِهَتْ بمريمَ العذراء: [البسيط]

---

(١) المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة : ص٢٤٠.
(٢) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: جـ٣ ص١٣٣.
(٣) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: ص٥١٠.
(٤) جذوة المقتبس : ص٣٨٨. وبغية الملتمس: ص٥٢٨. الصلة : جـ٢ ص٦٩٤. نزهة الجلساء من أشعار النساء: ص٩٠ والنفح: جـ٦ م٣ ص٢٧.
(٥) الدر المنثور: ص٥١٠.
(٦) نزهة الجلساء : ص٩٠-٩١.
(٧) بغية الملتمس : ص٥٢٨. والصلة : جـ٢ ص٢٩٤.
(٨) النفح: جـ٦ م٣ ص٢٧.
* الحلة السيراء: جـ١ ص١٩ (المهدي: عبيد الله بن محمد المهدي الاموي). لعله هو أو لعله ابن المهند الشاعر المشهور.
ابن المهند : شاعر مشهور كان بعد الأربعمائة. ووالده المهند هو طاهر بن محمد . جذوة المقتبس: ص٣٨٢ ترجمة ٩٧٢.
المهند : طاهر بن محمد المعروف بالمهند البغدادي. كان أديباً شاعراً متقدماً. من شعراء الدولة العامرية وفد على المنصور بن أبي عامر محمد وحظى بالأدب عنده. انظر جذوة المقتبس: ص٢٢٩ (٥١٥).

ما لي بشكرِ الذي أوليتِ مـنْ قِبَـلِ ... لو أنني حُزْتُ نُطقَ الإنسِ والخَبَـلِ
يا فَذَّةَ الظُرفِ في هذا الزمانِ ويـا ... وحيدةَ العصرِ في الإخلاصِ والعَمَلِ
أشبهتِ مريماً العَـذراءَ فـي وَرَعٍ ... وفُقتِ خَنْسَاءَ في الأشعارِ والمَثَـلِ

إنَّ الأبياتَ [1] التي جاءت في مَدحِها بَيَّنَتْ مَكانَتَهـا الأدبيّـة بحيـث فاقـت الشاعرة الخنساء في أشعارها، إنَّ هذه التي فاقت الخنساء لم يصل إلينا من أشـعارها ما خلا ثمانية أبيات ستة منها في غرض المدح وبيتان[2]في الشكوى مـن الزمـان ، بعد أن (حَجَتْ وعَمَرتْ عمراً طويلاً وأسَنّتْ) [3]. وفيما روت عن نفسها أنها جاوزت سَبْعاً وسَبعينَ عاما [4].. قال المقّري[5] إن شهرتها كانت بعـد الأربعمائـة أي أنّهـا سلخت أعواماً في القَرن الرابع واشتهرت في القَرن الخامس ، فهي مـن الشـواعر المخضرمات في الأدب الأندلسي.

---

(١) الصلة: جـ٢ ص٢٩٤. جذوة المقتبس: ص٣٨٨ -٣٨٩ بغيـة الملـتمس: ص٥٢٨. نزهـة الجلساء ص٩٠ - ٩١، النفح: جـ٦ م٣ ص٢٧.

(٢) نرجح سقوطهما من قصيدة طويلة نظمتها بعد أن تقدمت في السن. انظر الـنفح : جـ٦ م٣ ص٢٧.

(٣) جذوة المقتبس: ص٣٨٨. بغية الملتمس : ص٥٢٨. الصلة : جـ٢ ص٦٩٤. النفح : جـ٦ م٣ ص٢٧.

(٤) انظر المصادر السابقة : والصفحات نفسها.

(٥) النفح : جـ٦ م٣ ص٢٧.

* الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الحارث من بني سليم. ولـدت سـنة (٥٧٥م - وتوفيـت ٦٦٤م) تزوجت واحداً من أولاد عمها وانفصلت عنه ثم تزوجت بمرداس بـن أبـي عـامر السلمي وانجبت يزيد ومعاوية وعمرو. أخوتها صخر ومعاوية قتلا. أهم ما يميـز شـعرها انتقالها إلى المدح بقصد الرثاء. ولها ديوان شعر شرحه الكثيـرون. انظـر شـرح ديـوان الخنساء : ص٥ -٧ . منشورات دار مكتبة الحياة -بيروت.

(٣) أُمُّ العَلاء[١] بنت يوسف الحجارية :-

تطلُّ علينا شاعرة أخرى من حرائر الأندلس اللائي فخرت بلادها وقبيلتها بها[٢]. كانت تدعى أُمَّ العلاء بنت يوسف بن حزَر المَجلسِ [٣] الحجاريّة[٤] شَهرت بهذه الكنية ولم يعرف لها غير هذا الاسم . وعُرفت بالحجارية. نسبةً إلى بلدتها مدينة وادي الحجارة التي تقع في شمالي الأندلس[٥] . وأطلق عليها صاحب المغرب (البربريّة) [٦]. على ما يبدو كانت صاحبة قُدراتٍ فنيّة . حيث عُدَّت في نظر بعض الباحثين[٧] واحدة من أرقِّ شاعرات عصرها، ومن أصحاب الهِمم ذات العزائم . وأقدرهن على التعبيرِ عَن نفسها[٨]. فَخَرتْ بِها [٩] بلادها. لِما جاءَ فيْ شعرها الحَسنِ من لَفتاتٍ لِوطنها. ولم يَصلْ إلينا من شعرها في هذا الغرض سوى أبيات تغنت فيها

---

(١) المغرب في حلى المغرب: جـ٢ ص٣٨. وانظر نزهة الجلساء : ص٢٢ -٢٣. نفح الطيب: جـ٥ ص٣٠١ – ٣٠٢. الدر المنثور ص٥٤. أعلام النساء: جـ٣ ص٣٢٧ -٣٢٨. المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة : ص٢٤٥. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ص٢١٠. شاعرات العرب : ص٢٥٨. تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس : جـ٤ ص٥٠٦ -٥٠٧ .. الشعر النسوي في الأندلس : ص٩٤. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ص١٧٢ -١٧٣.

(٢) المغرب: جـ٢ ص٣٨، نقلا عن المسهب للحجاري.

(٣) نزهة الجلساء : ص٣٢ – ٣٣.

(٤) انظر جميع هامش رقم (١).

(٥) تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس : جـ٤ ص٥٠٦.

(٦) المغرب : جـ٢ ص٣٨.

(٧) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنون: ص١٧٦ -١٧٧.

(٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٩) المغرب : جـ٢ ص٣٨.

بحبها لبستانها[1]. ولا نعلم ربما نظمت قصائدَ تذوبُ عذوبةً حُباً لِوَطنها، لكنَ المؤرخينَ أسقطوها من حسابهم. أو أنّها ضاعت في بطونِ الكُتبِ. كانت شاعرة مكثرة القول. محسنة للشعر جيدة النظم وفي شعرها تأبٍ وتحرز وكبرياء. ومما يُؤكد كَثْرة نظمها قول محقق المُغربْ الدكتور شوقي ضيف:-

(إن المقّري نَقَلَ عن نَسخةٍ من المُغرب غير هذهِ التي ننشرها وأكثر من تعرض لهم في طليطلة روى لهم أشعاراً ليست في نسختنا) [2] ونَحنُ نذهب مع ما ذهبَ إليه الدكتور شوقي ضيف لأننا وجدنا أبياتاً في المغرب مغايرة للأبيات التي وردت في النفح مما يؤكد صحة كلامهِ . كما ذكر السيوطي المتوفى (٩١١هـ) في نزهة الجلساء أبياتاً لم ترد في المغرب ولا في النفح. وقد أشار إلى ذلك الدكتور صلاح الدين[3] المنجد في تحقيقه للنزهة. إن هذه الشاعرة اللبيبةَ الفصيحةَ الأديبةَ ذات القصائد الطنانة[4]. قال عنها بعض الباحثين (لها موشحاتُ رنانة) [5] ولكن لم يُشرْ إلى ذلك الرواة. أوْ أحد من المؤرخين. كما أننا لم نَعْثَرْ على دليل يُؤيد صحة ما ذهبَ إليهِ . وقد وَصلَ لنا من أشعارِها العذبة ثلاثة عَشرَ بيتاً سنذكرها لاحقاً.

ولَمْ تُحدَّدْ سنةُ وفاتها بل قال عنها صاحب المُغرب إنها من أهل المائة الخامسة[6].

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٢) انظر هامش المغرب: جـ٢ ص٣٨.
(٣) نزهة الجلساء : هامش ص٢٢.
(٤) الدر المنثور : ص٥٤.
(٥) المصدر نفسه: والصفحة نفسها. وانظر المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة : ص٢٤٥.
(٦) المغرب في حلي المغرب: جـ٢ ص٣٨. اعلام النساء : جـ٣ ص٣٢٧.

(٤) أُمّ الكرم[١] بنت المعتصم بن صمادح:-

وقد دعاها السيُوطي (ت٩١١هـ) والمقّري (ت ١٠٤١) أمّ الكرام[٢] وهي ابنة [٣] المعتصم بالله أبي يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبي المتوفي سنة (٤٨٤هـ) ملك المَرِيّة[٤]. إن هذه الحرّة الأميرة كانت من بيت ملك كريم. وكان والدها شاعراً رزيناً. وكما لاحظنا من عادة ملوك الأندلس أن يعهدوا بناتهم ونساءهم لمعلمات يتعهدنَ بتعليمهن وتهذيبهن (فاعتنى والدها بتأديبها لما رأى من ذكائها)[٥]، فقالتْ الشعرَ ونظَمت قصائدَ ، ويبدو من مخايلَ ذكائها وفطنتها أنها لم تقتصرْ على

---

(١) المغرب في حلى المغرب: جـ٢ ص٢٠٢. وانظر صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي الوافي بالوفيات: جـ٩ ص٣٨٥ ترجمة ٤٣١٢. ونزهة الجلساء: ص٢٠.
نفح الطيب: جـ٥ م٣ ص٣٠٢. الدر المنثور: ص٥٤. اعلام النساء: جـ٤ ص٢٣٨. نيكل :مختارات من الشعر الأندلسي: ص١٢٨. الشعر النسوى: ص ٩٧ الأدب الأندلسى موضوعاته وفنونه: ص١٤٧ -١٤٩.

(٢) نزهة الجلساء : ص٢٠ . نفح الطيب: جـ٥ م٣ ص٣٠٢.

(٣) قلائد العقيان: ص٥٣. المغرب : جـ٢ ص٢٠٢. الوافي بالوفيات: جـ٩ ص٣٨٥. نزهة الجلساء : ص٢٠. نفح الطيب: جـ٥ م٣ ص٣٠٢.

(٤) البيان المغرب : جـ٣ ص١٦٧. نفح الطيب: جـ٥ م٣ ص٣٠٢.

* محمد بن معن بن صمادح الملقب بالمعتصم التجيبي. ولي بعد وفاة أبيه المتوفي (٤٤٣هـ) وسمي نفسه معز الدولة ، ولقب (المعتصم بالله الواثق بفضل الله) وكان شاعراً مقلا كريماً. عندما حاصر المرابطون المرية واستولوا عليها. فلما سمع المعتصم قال (لا إله إلا الله نَغّصَ علينا كلُ شيء حتى الموت) توفي في المرّية سنة (٤٨٤هـ).
انظر ترجمته في القلائد طبعة باريس: ص٥٣ - ٥٨ . الوافي بالوفيات: جـ٥ ص٤٥. ترجمة (٢٠٣) تاريخ الأدب العربي في الأندلس والمغرب: جـ٤ ص٦٦٦.

* المرية: بالفتح ثم الكسر، وتشديد الياء. من قرى الدم يمرى إذا جرى. هي مدينة كبيرة من كورة البيرة تقع على البحر المتوسط. واسمها بالأسبانية AL meriea. وكانت تحل منها مراكب التجار. وأهلها أعل صوراً وأفصح لسانا. انظر معجم البلدان : ياقوت الحموي جـ١٧ ص١١٩ - ١٢٠. والمعجب: ص٧ .

(٥) المغرب : جـ٢ ص٢٠٢. الوافي بالوفيات: جـ٩ ص٣٨٥ ترجمة ٤٣١٢.

قولِ الشعرِ فراحتْ تَعملُ في صنع المُوشّحات[1]. ولم يصل إلينا شيء من موشحاتها. وكل الذي وصل إلينا من انتاجها الشعري خمسة أبيات. في الغزل. إن هذه الشاعرة الوشاحة (الصمادية) [2] التي (افتخرت بها نساء العرب) [3]. وقعت في غرام فتى وسيم كان قد شُهِرَ بجمالهِ وعُرفَ بالسمار[4] في دانية وراحت تشهر بحبها وتتشوق، وتتغزل بفتاها وقيل صنعت فيه الموشحات[5] . ولم تضع حساباً لأبيها الملك ولاخوتها الشعراء [6].. وحينما علم والدها بأمرها خفي أمر السمار هذا من ذلك الحين، وربما قتله فخفي أمره. وقد علل أحد الباحثين سبب اختفاء الحبيب قائلاً (وقول ابن سعيد عن حبيبها يحتمل امرين: أما أن الحبيب قتله المعتصم، عندما علم بعلاقته بابنته ــ بوسيلة أخرى ــ وإما أنه خاف على نفسه فاختفى حالما تأكد من أنّ أباها الملك قد اطلع على قصتها) [7]. إن الأبيات الشعرية التي نظمتها أمُّ الكرم حيّة

---

(١) المغرب: جـ٢ ص٢٠٢ نقلا عن المسهب للحجارى .نزهة الجلساء: ص٢٠ . النفح : جـ٥ ص٣٠٢.

(٢) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ص١٤٩.

(٣) الدر المنثور: ص٥٤.

• السّمار : يظهر أنه فتى من فتيان قصر والدها. لم أجد له ترجمة.

• دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية تقع على ضفة النهر شرقاً، انظر موقعها على الخارطة اللاحقة في الفصل نفسه. ص ٣٤٣ .

(٤) المغرب : جـ٢ ص٢٠٢. نزهة الجلساء: ص٢٠. فوات الوفيات: جـ٩ ص٣٨٥. النفح : جـ٥ م٣ ص٣٠٢. إعلام النساء : جـ٤ ص٢٣٨. اعلام النساء: جـ٤ ص٢٣٨.

(٥) المغرب: جـ٢ص٢٠٢. نزهة الجلساء: ص٢٠. النفح : جـ٥ ص٣٠٢.

(٦) قيل كان لها ثلاثة أخوة هم: الواثق عز الدولة أبو محمد عبد الله تولى السلطة (٥٠٤هـ) ورفيع الدولة (٥٤١هـ) الحاجب أبو زكريا يحيى . وأبو جعفر أحمد. المغرب : جـ٢ ص٢٠٢. نزهة الجلساء: ص٢٠. النفح: جـ٢ ص٣٠٢.

(٧) الشعر النسوى في الأندلس: ص٩٧.

اثبتت فيها الجرأة والبراعة – وبدت فيها فنانة وأديبة بارزة بصرخاتها المسموعة في الغزل.

(٥) صفيةُ بنت عبد الله الرَبّي[١]:-

إنَّ المدرسةَ الأدبيةَ التي تزعمتها النسوة اللائي عشن في فترة القَرنْ الخامس الهجري كانت من بينهنَّ شاعرة شابة رقيقة القول جيدة النَظم ذاتَ ثقةٍ واعتداد وكبرياء. هذه هي صفية الرَبّي التي (اتصفت بحُسنِ الخَطِ) [٢]. لقد تأسف مترجموها على شَبابِها حيث أفُلَ كوكبها وهي في ريَعانِ الشباب وعزّ الحيويّةِ والنَضارةِ[٣]. ودونَ سن الثلاثين وكانت وفاتها سنة سبعَ عشرَة[٤] وأربعمائة. وربما قلة الأعوام التي عاشتها كانت سبباً من أسباب سُكوت الرواة عن أخبارها مع قلتها .. ويظهرُ أنّها اشتهرت في نَقَلِ المخطوطات[٥]. لذا (عابت إمرأةً خَطّها) [٦] إنّ هذه الأديبةَ الشاعرةُ الموصوفة. بعد أن ألّبَتْها تلك المرأة أجابتها بثلاثةِ[٧] أبيات أثبتت لها إجادتها

---

(١) جذوة المقتبس: ص٣٨٨ ترجمة (٩٨٥). بغية الملتمس: ص٥٢٧ ترجمة (١٥٨٣). الصلة : جـ٢ ص٦٩٣. الشعر النسوى : ص٦٦. أعلام النساء: جـ٢ ص٣٤٠. سلمى الحفار: في ظلال الأندلس : ص١١٧.

(٢) جذوة المقتبس: ص٤١٢ ترجمة ٩٨٥ – الصلة: جـ٢ ص٦٩٣ – الشعر النسوى : ص٦٦. والصلة : جـ٢ ص٦٥٤ – ٦٥٥. في طبعة عن تصوير الجامعة العربية تحت رقم ١٥٣٣.

(٣) الشعر النسوي : ص٦٦.

(٤) جذوة المقتبس: ص٣٨٨. الصلة: جـ٢ ص٦٩٣.

(٥) في ظلال الأندلس : ص١١٧.

(٦) جذوة المقتبس: ص٣٨٩. بغية الملتمس: ص٥٢٧. الصلة : جـ٢ ص٦٩٣.

(٧) جذوة المقتبس: ص٣٣٨ ترجمة ٩٨٥، وانظر: بغية الملتمس : ص٥٢٧. الصلة: جـ٢ ص٦٩٣. أعلام النساء : جـ٢ ص٣٤٠ طـ. الثانية. والشعر النسوى: ص٦٦.

في النَظم ، وجمالِ خطها في الكتابة. حيث دَافَعَتْ عن نَفْسِها ورَفَعتْ هـذا الاتهـامَ الباطل الموجه إليها قائلة[1]:- [الطويل]

وعائبةِ خَطي فقلتُ لها أقصري ... فسوفَ أُريكِ الدُرَّ في نَظمِ أَسـطُري
ونَاديتُ كفي كي تَجودَ بخَطهـا ... وقَرَّبَتْ اقلامـي ورَقـي ومِحبَـري
فَخُطتْ بأبياتٍ ثـلاثٍ نَظَمْتُهـا ... ليبدو لها خَطي وقُلتُ لهـا انظـري

(٦) مُهجةُ[2] بنت التّياني القرطبية :-

شاعرةٌ أندلسيةُ من حرائر قرطبة[3]. ومن أديباتِ[4] القَرنْ الخامس الهجري. كانت معاصرةً لأستاذتها وَلاّدة[5] التي توفيت سنة (٤٨٤هـ). تنتمي مهجة إلى عائلة فقيرة كادحة فوالدها على ما جاء في المغرب[6] (كان يبيع التين) [7] فأكتسبت لقَبها من مهنتهِ . وعُرِفَتْ بمهجة التّياني، قيل كانت من أجمل [8] نساء زمانها. وأكثرهنَ فتنةً وسحراً، وأخفهنَّ [9] روحاً وظرفاً. وكانت[10] تَدْخل عند ولاّدة بنت المستكفي

---

(١) جذوة المقتبس: ص٣٨٨ ترجمة (٣٨٥) . الصلة: جـ٢ ص٦٥٥ ترجمة (١٥٣٣) تحقيق عزت العطار الحسيني طـ١٩٥٥.

(٢) المغرب في حلي المغرب: جـ١ ص١٤٣. نزهة الجلساء : ص٩٣. نفح الطيب: جـ٦ م٣ ص٢٨ – ٢٩. اعلام النساء : ص٣٧. الإعلام : جـ٧ ص٣١١. الدر المنثور: ص٥١٣. الشعر النسوي: ص٨٨ – ٨٩. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه : ص٣١٤.

(٣) نزهة الجلساء: ص٩٣.

(٤) المغرب في حلي المغرب: جـ١ ص١٤٣. نزهة الجلساء: ص٩٣. نفح الطيب : جـ٦ م٣ ص٢٨. سنذكر ترجمة لولاّدة بنت المستكفي.

(٥) المغرب في حلى المغرب: جـ١ ص١٤٣. نقلا عن المسهب.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها. نزهة الجلساء : ص٩٣. الإعلام: جـ٧ ص٣١١.

(٧) المغرب في حلى المغرب: جـ١ ص١٤٣. نزهة الجلساء: ص١٣.

(٨) المغرب : جـ١ ص١٤٣. نزهة الجلساء : ص٩٣. النفح: جـ٦ م٣ ص٢٨. الدر المنثور: ٥١٣. جاء في النفح في (١) الهامش (أجلّ نساء زمانها).

(٩) المغرب : جـ١ ص١٤٣ . نزهة الجلساء : ص٩٣. النفح : جـ٦ م٣ ص٢٩.

(١٠) المغرب : جـ١ ص١٤٣.

الشاعرة. وبعد أن لَمَسَتْ منها خِفَّةُ الروحِ[1]، والظَرفِ واستعداداً لقول الشعر والجرأة تولّت تعليمها، ولازمت تأديبها[2]. ولمواظبتها على التعليم خَلَقَتْ أُستاذتها منها شاعرة (مُبدعة مَهيبَةَ الجانب) [3] في الغزل والهجاء. وذلك للرعاية الأدبية التي أولتها. وسرعانَ ما أنكرت التلميذة فضل معلمتها. بعد أن أتقنت القول واشتد ساعدها في النظر، ولما وقعَ خلافٌ بينهما[4]. قالت قافيةً هَجَتْها هجاءً بذيئاً فاحشاً مُقذعاً. فاقت به مشاهير الهجائين[5]. وهما:- [السريع]

ولّادةُ قَدْ صرت ولّادة ... من دُونِ بعلٍ فُضِحَ الكاتِمُ

حَكَتْ لَنا مَريَمُ لكنه ... نَخْلَةٌ.....

مما دعا نقاد زمانها بعد سماعهم البيتين أن يقرّوا (لها بالتقدم)[6] حين قالت (ما نقص عنه ابن الرومي) [7] . قال بعض الأكابر: (لو سَمِع ابن الرومي هذا لأقرَّ لها بالتقدم) [8].

تبين لنا – أنّ الحرائر من الشواعر سمت مرتبتهن الشعرية إلى مرتبة الفحول من الشعراء أمثال ابن الرومي، بل سجلت تقدماً على فحول الشعراء من

---

(١) المغرب : جـ١ ص١٤٣. نزهة الجلساء: ص٩٣. النفح : جـ٦ م٣ ص٢٨ – ٢٩. الإعلام : جـ٧ ص٣١١.

(٢) المغرب: جـ١ ص١٤٣. نزهة الجلساء: ص٩٣ . النفح : جـ٦ م٣ ص٢٨.

(٣) الشعر النسوى : ص٨٨.

(٤) نزهة الجلساء : ص٩٣.

(٥) نقصد ابن الرومي مولى عبد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصُور. من أشهر الشعراء الهجائيين في القرن الثالث الهجري. ولد ببغداد(٢٢١هـ) وتوفي (٢٧٦هـ). ودفن في مقبرة البستان. انظر عباس محمود العقاد: ابن الرومي ط٢.

(٦) النفح: جـ٦ م٣ ص٢٩.

(٧) المغرب: جـ١ ص١٤٣ – مطبعة حجازي- القاهرة – ١٩٣٨.

(٨) النفح : جـ٦ م٣ ص٢٩. اعلام النساء: ص٣٧.

(الذكران) [1] في البتين اللذين وصلا إلينا وُعدا من أجودِ الشعر وأطيبه قالتهما في مدحها (أيام صُلحها) [2] ووَقْتَ تأديبها عند ولاّدة . مما دعا الدكتور جودت الركابي أنْ يذهبَ سهواً حين قال (ومهجة القرطبية جاريتها) [3] ويقصد جارية ولاّدة، والحقيقة اتضحت، هي أنها كانت تَدخل عليها لتتلقى الشِعرَ وتتهلَ الأدبَ منها فولاّدة أستاذة مهجة وليست مَولاتها.. توفيت نحو (٤٩٠هـ) [4] . لقد أجادت مهجةُ في المدحِ وأسرفتْ في الهجاء الذي ابتعدت فيه عن الحياء الذي عُدَّ حُلية المرأة وزينة أخلاقها.

(٧) قَسْمُونة[5] بنت إسماعيل اليهودي :-

شاعرة يَهودية من شواعر الأندلس. أغفلتها المصادر وذكر خبرها أحمد بن محمد المقّري المتوفى (١٠٤١هـ) وانفرد به . ولم يحدد زمنها ولم يذكر شيئاً عن بلدها. قيل إن والدها شاعر فبَحثنا في كُتبِ الأدبِ والتراجمِ فوجدنا اخباراً في الإحاطة. نقلا[6] عن إبن حيان (٤٦٩هـ) قال كان هذا اللّعين في ذاته. ويقصد إسماعيل ابن نغرالة اليهودي ولعله والد قسمونة. من (أكملِ الرجال علماً وحلماً وفهماً، وذكاءً، ودماثةً وركانةً، ودهاءً، ومكراً، وملكاً لنفسه) [7] ناهيكَ من رجلٍ كتب

---

(١) المغرب : جـ١ ص١٤٣.

(٢) الدر المنثور: ص٥١٣.

(٣) في الأدب الأندلسي : ص٩٨.

(٤) الاعلام : جـ٧ ص٣١١.

(٥) النفح : جـ٥ م٣ ص٧٢ -٧٣ . إعلام النساء: جـ٤ ص٢٠٧. شاعرات العرب: ص٣٢٤.
الشعر النسوى في الأندلس : ص١٠٤ – ١٠٥.
الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ص٢٣٤ -٢٣٥.

(٦) الإحاطة في أخبار غرناطة: جـ١ ص٤٤٦. البيان المغرب: جـ٣ ص٢٦٤.

(٧) الإحاطة : جـ١ ص٤٤٦.

بالقلمين واعتنى بالعلَمَين، وشغف باللسان العربي، ونظر فيه، وقرأ كتبه. وطالع أصوله، فانطلقت يده ولسانه[1] توفي سنة (٤٥٩هـ) . وقيل كان له ولد يسمى يوسف[2] ويُكني بأبي حسين حمله والده على مطالعة الكتب وجمع إليه المعلمين والأدباء من كل ناحية. قتل سنة (٤٥٩هـ) وعقب لسان الدين ابن الخطيب المتوفي (٧٧٦هـ) قائلاً، وإنما أتينا ببعض أخباره (لكونه ممن لا يمنعُ ذكرَهُ في أعلامِ الأدباءِ والأفرادِ إلاّ نحلتُهُ) [3] ، فتبينَ لنا أنَّ نحلةَ قسمونة بنت إسماعيل كانت سبباً من أسباب سكوت المصادر عنها. فإذا صحت أخبار والدها فهي إبنة إسماعيل بن نغرالة

اليهودي الذي (تولى بغرناطة جبايَةَ المالَ وتَدبيرُ أكثرُ الأعمال)[4] وقد استَوزَه صاحب غرناطة[5]. باديس بن حبوس المتوفى (٤٦٧هـ) . فهي إبنةِ الوزير إسماعيل ومن أهل غرناطة. وعلى عادة الملوك والوزراء الذين شُهروا بتأديب وتعليم بناتهم. ولما كان أبوها شاعراً على ما جاء في النفح[6] فاعتنى بتأديبها (وربما صَنَعَ من الموشحة قسماً فأتمتها هي بقسم آخر) [7]. على الرغم من أن عصر

---

(١) المصدر نفسه: جـ١ ص٤٤٦

* إسماعيل بن نغرالة اليهودي: كان هذا اليهودي من أهل الأدب والشعر فدام أمره كذلك إلى أنْ هلك . وترك ابناً له اسمه يوسف لم يعرف ذلّة الذمّةِ ولا قذر اليهوديّة. انظر البيان المغرب: جـ٣ ص٢٦٤.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة: جـ١ ص٤٤٨.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) الذخيرة : ق١ م٢ ص٧٦٦.

(٥) الإحاطة: جـ١ ص٤٤٢، وسماه صاحب الذخيرة: ق١ م٢ ص٧٦١ ابن النغريلي الإسرائيلي. وقد خلط بين أعمال الإبن وأبيه كما أشار محقق الذخيرة. د. إحسان عباس في هامش الذخيرة: ق١ م٢ ص٧٦١.

(٦) النفح : جـ٥ م٣ ص٧٢.

(٧) النفح : جـ٥ م٣ ص٧٣.

الطوائف تميز بازدهار الموشحات ولكننا لا نستطيع أن نذهب إلى ما ذهب إليه الباحث محمد [1] منتصر الريسوني. في جعلها شاعرة وشاحة. لأن المقّري أشار إلى والدها في صنع الموشحات. وانفرد بالخبر . ويبدو غير متأكد منه . والمقّري متأخر في فترته. فلا يمكن أن نُسَلّمَ جدلاً برأيه – دون قرينة أو دليل قاطع. ثم أن الباحث نفسه اعتمد على ازدهار الموشحات في عصر الطوائف فنسبها إلى ذلك العصر. وغفل عنه طريقته واسلوبه في إجازة الأشعار. حيث ذكر المقّري[2]: (وقال لها أبوها يوماً: أجيزي : [الكامل]

لي صاحب ذُو بهجةٍ قَدْ قابلت منعاً بظهرٍ واستحلت جرَمُها

ففكرت غير كثير كعادة الشواعر الجوارى والحرائر فى إجارة الآبيات وقالت: [الكامل]

كالشمس منها البَدرُ يقبس نورَهُ أبدا ويكسفبعد ذلك جرمها

وإذا أمعنَا النظر في طريقتها بإجازة الاشعار نجدها واردة كثيراً عند شواعر الطوائف الجواري منهن والحرائر . فقد اتمت الجارية العبادية شطر بيت المعتصم بالله[3] المتوفى سنة ٤٦١هـ) . واجازت اعتماد الرميكية عجز البيت [4] بعد أن عجز ابن عمار عنه. وكذلك حصل مع الجارية غاية [5] المنى فقالت تُجيزَ شطرَ المعتصم بن صمادحَ المتوفى (٤٨٤هـ) عندما أرادَ اختبارَها . فقسمونةُ إحدى الشاعرات التي شابهت وسارت على طريقة زميلاتها في اجازة البيت الشعري

---

(١) الشعر النسوي في الاندلس: ص١٠٤.

(٢) النفح : جـ٥ م٣ ص٧٣.

(٣) النفح : جـ٦ م٣ ص١٩.

(٤) النفح : جـ٥ م٣ ص٣٤٢.

(٥) المصدر نفسه : جـ٦ م٣ ص٢٢.

واتمته مثل شواعر عصرها. وجاء باحث[1] آخر بدليل غير منطقي حيث جعلها من شاعرات غرناطة ضمن فترة القرن الرابع الهجري معللاً توافر اليهود وكثرتهم فيها. فتوافر اليهود ليس دليلاً قاطعاً إن لم يقترن بقرينة ، وقَرِينَتُهُ أن إسماعيل اليهودي كان من أهل غرناطة[2]. إن المقري كثيراً ما يخلط بين فترات الشواعر حيث سرد أخبار مهجة القرطبية[3] وجعلها بين شاعرات القَرن السادس الهجري في حين أن هذه الشاعرة عاصرت ولادة. وتتلمذت على يدها، والمعروف عن ولاّدة أنها توفيت عام (٤٨٨هـ).

ثم أن ذلك الباحث جعل الفصل تحت عنوان (شاعرات القرنَ السادس). وأشار إلى قسمونة على أنها شاعرة من شاعرات القرن السابع[4]. والحقيقة أنها من شاعرات القرن الخامس. فهذا نوع من الاضطراب الذي سار عليه معظم المؤرخين وتبعهم الباحثون دون تمحيص. أن قسمونة اليهودية (ابنة والدها بتأديبها) [5] حتى أصبحت أشعر منه . على حد تعبيره ورأيه. فبعد أن أجازته بكل حذق ومهارة، قام كالمجنون والفرحة غمرت قلبه (وضمّها إلى صدره وجعل يُقَبّل رأسها ويقول : أنتِ والعشر كلمات أشعر منّي) [6].

هذه الظاهرة ألا تلفت النظر إلى حقد المؤرخين والرواة على شاعريتهن.

لقد إعترفَ الأدباء والشعراء والنقاد بتمكنهنَ، في حين أصر المؤرخون على تجاهلهن واغفال أشعارهن(*) . فلم يصل إلينا من شعرها إلاّ خمسة أبيات عرفنا من

---

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه : ص٣٣٤.

(٢) الذخيرة : ق١ م٢ ص٧٦٦ . وانظر الإحاطة: جـ١ ص٤٤٢.

(٣) النفح :جـ٦ م٣ ص٢٩.

(٤) الأدب الاندلسي موضوعاته وفنونه: ص٢٣٤ -٢٣٥.

(٥) النفح : جـ٥ م٣ ص٧٣.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

* قد يعذر الرواة في ابتعادهم عن نقل أخبارها لذميتها.

خلالها أنها شاعرة حملت مسحة من الجمال[1] .. ولها ثقافة وإطلاع واسع ومعرفة بأحوال الشمس والقمر، ويظهرُ أنها بقيت عذراء ولم تتزوج، ذلك لأنها وقفت يوماً أمام المرأة ونظرت جَمالها فَراعها ألاّ يتقدم إليها أحد يطلب يدها وهي الوسيمَة وقد (بلغت أوان التزويج) [2]. فقالت معبرةً عن شكواها آسفة على جَمالِها:- [الطويل]

أرى روضةً قَدْ حانَ مِنها قِطافُها ... ولستُ أرى جانٍ قدّ يَمدُّ لها يدا[3]

فوا أسفاً يمضي الشبابُ مُضيعاً ... ويبقى الذي ما إن أُسَميهِ مفردا

فسمعها والدها (فَنَظر في تزويجها) [4]. ولم يُخبرنا عن أمر زواجها والله أعلم.

إن هذه الشاعرة اليهودية على الرغم من كونها بعيدة عن لغة القرآن إلاّ أنّها تميزت بالفصاحةِ والبلاغةِ وإجازةِ الأبيات على البديهةِ مع سُرعة خاطر ، وصدق وصراحة في التعبير عن المشاعر. ربما لكونها من نساء غرناطة حيث كُنَّ أعرف بالشعر ومعانيه وصوغه وصقله من غيرهن، فقد ذكر المقري نقلاً عن إبن سعيد المتوفي (٦٨٥هـ) (يقالُ لنساءِ غرناطةَ المشهوراتِ بالحبِّ والجلالةِ العربيات لمحافظتهن على المعاني العربية) [5]. وقد سرنَ على سنَنِ العرب في صفاء الشعر وفصاحة المعاني، وعُدتُ قسمونة واحدة منهن.

---

(١) النفح : جـ٥ م٣ ص٧٣.

(٢) المصدر نفسه حـ٥ م٣ ص٧٢.

(٣) المصدر نفسه:حـ٥ م٣ : ص٧٣.

(٤) المصدر نفسه : والصفحة نفسها.

(٥) النفح : حـ٦ م٣ ص٢٥. المرأة العربية: حـ٣ ص١٣٣.

(٨) نَزهُون بنت القُلاعي[١] :-

وهناك من سماها من المؤرخين ، نَزهون[٢] القُليعي ، والقُلاعيـة[٣]، إلاّ أن إبن سعيد المتوفى (٦٨٥ هـ) المؤرخ الشهير الذي أصله من نواحي غرناطة المدينة

---

(١) وردت أخبارها وأشعارها في بغية الملتمس : ص٥٣٠ ترجمة (١٥٨٨). المقتضب: ص١٦٤. ابن الأبار : تحفة القادم: ص٥٨٣ -٥٨٤ (مقتضب) نشرها البعتاني. استاذ الأدب العربي في معهد الدروس المغربية – تطوان. عن مجلة المشرق -١٩٤٧.
المغرب : حـ٢ ص١٢١ . رايات المبرزين : ص٦٠ . الإحاطة في أخبار غرناطة: حـ١ ص٤٣٣ -٤٣٥ . دار المعارف. نزهة الجلساء : ص٩٧-١٠٠. نفح الطيب: حـ٦ م٣ ص٣١ -٣٤ نقلا عن المسهب للحجاري – شكيب ارسلان. الحلل السندسية : حـ١ ص٢١٤. الدر المنثور: ص٥١٩ – إعلام النساء : حـ٥ ص١٦٧ -١٧٠ . الاعلام: حـ٨ ص١٧. نكيل: مختارات من الشعر الأندلسي : ص١٨٠-١٨١ . شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ص٢٢٢ -٢٢٣ . المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: حـ٣ ص١٣٤. قصة الأدب في الأندلس : حـ١ ص٤٢٢. مجلة علوم إسلامية : ص١ – ٦. مجلد ١- لسنة ١٩٦٠ بحث نشره ذاكتر . س. م. استرن موشحة لنزهون. (إدارة علوم إسلامية). شاعرات العرب: ص٤٤٨. الشعر النسوى في الأندلس: ص٩٠-٩٣. تاريخ الأدب العربي في الأندلس : ص٢٣٨.

(٢) الحلل السندسية : حـ١ ص٢١٤ . النفح : حـ٦ م٣ ص٣٣.
نزهون: شاع عند الأندلسيين أسماء على هذا الوزن للذكور والإناث مثل زيدون وعبدون ، وهبون. نزهون.
القليعي ، للأمالة تنطق الألف ياء فتكتب لسماعها وهي لغة عند الأندلسيين. أو نسبة إلى القلعة التي وفد منها أهلها وهي قلعة (يحصب) قرب غرناطة.

(٣) بغية الملتمس : ص٥٣٠ . تحفة القادم: ص٥٨٣ عن مجلة المشرق – ١٩٤٧. نفح الطيب : حـ٦ م٣ ص٣٢.

التي توطنتها نزهون. سماها في بعض مؤلفاته نزهون بنت القلاعي [1] ونزهون القليعيّة ، شاعرة غرناطية[2]. مشهورة[3].

قال ابن الأبار[4]: إن نزهون كانت بنت أبي بكر محمد بن أحمد القليعي المتوفى (٥١٠هـ) يشير إلى كون هذا افتراضاً لا غير حيث يقول (في ما أحسب). لقد ترجم لسان الدين بن الخطيب لجدها أحمد فقَال[5]: أحمد بن خلف بن عبد الملك الفسانّي، ويكني أبا جعفر ، وتوفي أحمد القليعي في سنة (٤٩٨هـ) . وابنه محمد بن أحمد القليعي الذي يحسب إبن الأبار أنه كان والد نزهون وهو قاضي غرناطة كما يُحَدَّثُ إبن الأبار في تَرجَمتهِ في (التكملة لكتاب الصلة). لكن الموشحة التي وردت في المخطوطة الوحيدة كانت تحت عنوان (موشحة لنزهون بنت الوزير القليعي) [6] ويبدو أن والدنزهون هو أحمد بن خلف القليعي الذي يلقبه ابن الخطيب بالوزير. لا محمد بن أحمد القاضي القليعي[7]، ولكن ليس من المحال أن القاضي القليعي محمد بن أحمد لقب بالوزير على عادة أهل الأندلس الذين كثر عندهم استعمال هذا اللقب.

ومع هذا كله فإن ابن سعيد إنْ أصابَ في تسميته لنزهون ببنت القلاعي عوض القليعي، فلعله لا صلة لنزهو بالقليعيين اصلاً، هذا ما ذهب إليه ناشر موشحة

---

(١) المغرب : حـ٢ ص١٢١. رايات المبرزين: ص٦٠.

(٢) نزهة الجلساء : ص٩٩. النفح: حـ٦ م٣ ص٣٢. ليفي برفنسال : سلسلة محاضرات عامة في الأدب الأندلسي : ص٢٦.

(٣) الحلل السندسية : حـ١ ص٢١٤.

(٤) التكملة لكتاب الصلة: حـ٢ ص١٤٦ (نشر كوديرا) مدريد.

(٥) الإحاطة في أخبار غرناطة : ص١٥٣ -١٥٦.

(٦) انظر مجلة علوم إسلامية . عدد السنة ١٩٦٠ ص٥ -٦ نقلا عن المخطوطة الوحيدة الموجودة عند الأستاذ ج. س. كلين وانظر مجلة الأندلس: ص٣٣٩ -٣٦٩. المجلد الثالث والعشرون لسنة ١٩٥٨.

(٧) التكملة لكتاب الصلة: حـ٢ ص١٤٦. نشر (كوديرا) مدريد.

نزهون[1]. وإن أصاب فهى تنتمي إلى عائلة عريقة (من جِلّة) [2] أعيان غرناطة، وعلى اية حال فهي شاعرة وشاحة صادقة[3] من حرائر الأندلس . على ما جاء في النفح نقلاً عن المغرب (من أهل المائة الخامسة) [4]. فلا بدّ من أن هذه الشاعرة سلخت أعواماً عديدة من عمرها في القرن الخامس وعاشت النصف الأول من المائة السادسة فهي تعد من المخضرمات في الأدب الأندلسي ومن المعمرات أيضاً. وقيل انها توفيت سنة(٥٥٠هـ) [5] ، كانت من الأديبات الفريدات، ذات جمال فائق[6] شارق[7]، وحسن رائق[8]. ونابغة من نوابغ زمانها[9]. لقد اتفق النقاد والرواة على شاعريتها واختلفوا في صفتها جاء في المغرب (أنها شاعرة ماجنة[10]، كثيرة

---

(١) مجلة علوم إسلامية : ص١ – ٢ – ٣. نشرها ذاكتر . س.م استرن.

(٢) الإحاطة : حـ١ ص١٥٣.

(٣) المرأة العربية: حـ٣ ص١٣٤. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ص٢٢٢.

(٤) النفح : حـ٦ م٣ ص٣١ نقلا عن المغرب غير النسخة التي حققها شوقي ضيف وانظر إعلام النساء: حـ٢ ص١٦٧. والدر المنثور: ص٥٩، ونزهة الجلساء: ص٩٧ نقلا عن المغرب.

(٥) الإعلام : حـ٨ ص١٧.

(٦) النفح : حـ٦ م٣ ص٣١ . وانظر أعلام النساء: حـ٥ ص١٦٧.

(٧) الدر المنثور: ص٥١٩.

(٨) النفح : حـ٦ م٣ ص٣١ نقلا عن المسهب.

(٩) الحلل السندسية : حـ١ ص٢١٤ عن (قول الشقندي).

(١٠) الماجنة : المازحة. والمجون لغة: خَلْطُ الجدّ بالهزل. مَجَنَ الشيء مجونا صلب وغلظ . ومنه اشتقاق الماجن لصلابة وجهه وقلة استحيائه والمجون كفن من فنون الأدب يشيع عندما يستبحر العمران. وتَرَقُ الحضارة وتقل ضوابط الجد في المجتمع. انظر لسان العرب: ص٤٠٠م الثالث عشر طـ. بيروت دار صادر ١٩٥٦م. والمعجم الوسيط : قام بإخراجه إبراهيم مصطفى – أحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار وأشرف على طبعه عبد السلام هارون: ص٨٦٢. عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس : ص٢٥٥. طـ٢ . ١٩٧٦. مصر.

النوادر) [1] إلاّ أن المقّري يصفها نقلاً عن المسهب (بخفة الرَوح، والانطباع الزائد والحلاوة. وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الأمثال) [2]. هذا انطباع الحجاري المتوفى سنة (٥٨٤هـ) عنها.

وقالت زينب[*] فواز (جوهرة لم يسمح بمثلها الدهر وفريدة فاقت على نساء العصر لطيفة المسامرة حسنة المحاضرة حافظة لأشعار العرب وأمثالها. ولم يكن بغرناطة إذ ذاك أحد من أمثالها) [3] إن هذه الشاعرة كانت لها حياة أدبية خاصة تعقد وسط مجالس الرجال من الوزراء والشعراء فقد قيل كان لها (نادٍ لم يؤمه إلاّ الأفاضل . ومجلسٌ لم يجتمع فيه إلاّ كل عاقل) [4] كل هذا أكدته أخبارها من مساجلات أشعارها مع شعراء زمانها الذين أولعوا بأدبها ومحاضراتها ومذاكراتها. فكان (لها في مجالسهم منزلة عالية) [5] قد يكون هذا لخفةِ روحها. وسرعةِ بديهتها، وحضورِ [6]جوابها ، وضَربها (وتصريفها للأمثال) [7] بطريقةٍ فكهةٍ ظَريفةٍ . ويبدو أنها افتخرتَ واعترفت بفحولة شعرها حين قالت[8]:- [المجتث]

---

(١) المغرب : حـ٢ ص١٢١.

(٢) النفح : حـ٦ م٣ ص٣١.

* زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف بن فواز العاملي السورية مولدا وموطنا المصرية منشأ وسكنا. أديبة شاعرة مبدعة انصرفت إلى نظم الشعر فأجادت فيه وجمعت من شعرها ديوانا كبيرا لم يطبع. لها رسائل زينبية. وكتاب الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، وكتاب مدارك الكمال في تراجم الرجال وكتاب الجوهر البضيض في مآثر الملك الحميد ، توفيت بالقاهرة سنة ١٩١٤. انظر اعلام النساء: حـ٢ ص٩٠.

(٣) الدر المنثور: ص٥١٩.

(٤) الدر المنثور : ص٥١٩.

(٥) شاعرات العرب في الجاهرية والإسلام: ص٢٢٢.

(٦) بغية الملتمس : ص٥٣٠.

(٧) نزهة الجلساء : ص٩٧.

(٨) الإحاطة : حـ١ ص٤٣٤.

إنْ كُنتُ في الخَلقِ أُنثى فإن شعري مُذَكرْ

ورُطتْ بألفاظها التي لا تَتَحَشمْ فيها، دفاعاً عن كرامَتِها وروداً لاعتبارها وتأثراً لتخديش عِرضها، إلاّ أن المسلطين على الأعراض المفحشين الألفاظ كانوا يألبونها ويضايقونها ويسمعونها كلمات سوقية مبتذلة الأمر الذي دعاها إلى مواجهتهم نَظْماً بنظم ، ومناقضتهم أحياناً نثراً بنثر إضطراراً تارةً واختيارا أحياناً أخرْ . وبفضل عمرها المديد ، وخَضْرَمَتِها، ومَجالسها، عاشَرَتْ نزهونَ عِدة من المشاهير . وإطلعت على أحوالهم.

وسجلت لقاء في أحد مجالس الوزير[1] أبي بكر بن سعيد، الأدبية وبحضوره، تصدّى الشاعر أبو بكر المخزومي المَوروري المُدَوَّري[2] المتوفى سنة (٥٤٠هـ) لنزهون فأنقعها قذعاً من غير ما تحفظ بعد أن سخرت منه ومن بلدته (المدَوّر) وغائب عليه نشأته بين التبوس والبقر، وسخريتها من آفة عماه فكان وَقْعةُ أشد ما يكون على رجل مكفوف ، ثم تعريضها بوالدته.. مما أثارت سَخَطَهُ عليها.

---

(١) الإحاطة : حـ١ ص٤٣٢.

(٢) المدَوّر : حصن حصين مشهور بالأندلس. يقع بالقرب من الشمال الشرقي من قرطبة لهم فيه عدّة مواقع مشهورة. والمدوّر بالإسبانية Almodovar انظر معجم البلدان : حـ١٧ ص٧٧.
أبو بكر المخزومي الأعمى الموروي (المدّوّري). شاعر أعمى شديد القحة والشر كان معروفاً بالهجاء . مسلطاً على الأعراض. سريع الجواب. ذكي الفطن. فطناً للمعاريض. سابقاً في ديوان الهجاء فإذا مدح ضعف شعره. انظر الإحاطة : حـ١ ص٤٣٢. وصفوان بن إدريس : زاد المسافر: ص١١٧. أعده وعلق عليه عبد القادر القط. الناشر دار الرائد العربي – لبنان .
(أبو بكر بن سعيد أخو أبي مروان كاتب (أبى زكريا بن غانية) تحفة القادم لابن الأبار: عن مجلة المشرق نشر الفريد البستاني: ص٥٨٣، لسنة ١٩٤٧، ونفح الطيب : حـ٤ م٢ ص٢٠٤.

وقد أورد هذه الحكاية المؤرخ ابن سعيد المتوفى (٦٨٥هـ) في كتابة (الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد) [١] الذي لم يصل إلينا – وقد نقل الحوار لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) في ترجمته للمخزومي المتوفي (٥٤٠هـ) في الإحاطة[٢]. والمقرى في النفح[٣] – قالت نزهون للأعمى (ونَراكَ يا استاذ قديم النعَمة ، بندٌ وغناء وطيبِ شراب. تتعجبُ من تأتيه وتُشبهه بنعيم الجنة، وتقول ما ان يعلم إلاّ بالسماع ولا يبلغ إليه إلا بالعيان لكن من يجيء من حصن المدور، وينشأ بين تيوس وبقر من أين له معرفةُ بمجالس النغم) [٤] فلما استوفت كلامها تَنَحنحَ الأعمى، فقالت له : (دَعَهَ) [٥] فقال : من هذه ...؟ ! فقالت : عجوز مقام أمك ، فَقَالَ: كَذبتِ ما هذا صوت عجوز، إنما هذه نغمةُ ... محترفة ... منها على فرسخ، فقال له أبو بكر: يا أستاذ هذه نزهونَ بنت القلاعي الشاعرةُ الأديبة، فقال : سمعتُ بها لا أسمعها الله خيراً ، ... فقالتَ له: يا شيخَ سوءٍ تناقَضْتَ(*).. وأيّ خيرٍ افضل للمرأة؟) [٦] فنراها سَخرتْ منهُ ثانيةً بطريقتها الخاصة الممزوجة بالدعابة. مما دعاهُ أن يفكرَ ساعةً ثم يقولُ معرضاً بها تعريضاً مقصوداً للإنتقاصِ من شرَفِها، والنيلِ منها قائلاً[٧]:-

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة: حـ١ ص٤٣٢.

(٢) المصدر نفسه : حـ١ ص٤٣٢ – ٤٣٥.

(٣) النفح: حـ٦ م٣ ص٣١ – ٣٤.

(٤) الإحاطة : حـ١ ص٤٣٣ –٤٣٤.

(٥) في إعلام النساء : حـ٥ ص١٦٩. (ذبحة).

* في إعلام النساء : حـ٥ ص١٦٩ . (يا شيخُ سوّءتنا قضت – وايّ خير للمرأة مثل ما ذكرت).

(٦) الإحاطة : حـ١ ص٤٣٣ –٤٣٤.

(٧) الإحاطة: حـ١ ص٤٤٣– نزهة الجلساء: ص٩٨. النفح : حـ٦ م٣ ص٣١.

على وَجْه نزهونٍ من الحُسنِ مِسْحةٌ وإن كانَ قَدْ أمسى من الضوءِ عاريا[1]
قواصِدُ نَزهونٍ تَوارِكُ غيرِها ومن قَصَدَ البحرَ استقلَّ السَّواقيا

فأجابَه بسرعةِ حاضرةٍ ، جواباً انتقَمَت لهوانها وخضوعها بشعرٍ أكثرَ بذاءةٍ وأشدَ خشونة . سنذكره في مبحث "الهجاء من شعر النساء" ونكتفي بذكر بيتين للاستشهاد على ما ذكرناه: قالت[2]:- [المجتث]

جازيتُ شعراً بشعرٍ فقل لعمري منَ أشْعَرْ
إن كنتُ في الخَلقِ أُنثى فإنَّ شعري مُذكَّرْ

ولقد وجدنا في نفح الطيب[3] أبياتاً مغايرة لهذه الأبيات وربما ردت عليه في هجاء له فيها في موطنٍ آخر. أو في مجلس غير هذا المجلس. أو قد يكون إختلقه الرواة عليها. وبعد أن فَرغَت من إنشادها. لم يسكت المخزومي عن هزيمته وفشله ، فقال لها: اسمعي [4] : فَردَّ عليها بنظمٍ أفحشَ ما يمكنَ وأن تُسمِعهُ إمرأة نكتفي بذكرِ بيتٍ واحد منه[5]:- [المتقارب]

---

(١) في النفح : جـ٦ م٣ ص٣١، عجز آخر (وتحت الثياب العار لو كان بادياً) وقد جاء في هامش نزهة الجلساء : ص٩٨، ونفح الطيب: جـ٦ م٣ ص٣١ – انتحال.

أ- البيت الأول بأكثر ألفاظه من قول ذي الرمة، ويقال: بل هو قول كُنزة أمّ ذي الرمة: على وجه ميّ مسحةٌ من مَلاحَةٍ
وتَحتَ ثِيابِ العارِ لو كانَ باديا

ب- وقد أخذ البيت الثاني بأكثر ألفاظه من قول المتنبي يمدح كافور الأخشيدي:
قَواصِدَ كافورٍ، توارِكُ غَيرِه ومن قَصَدَ البحرَ إستقل السواقيا

(٢) الإحاطة : جـ١ ص٤٣٤.
(٣) نفح الطيب: جـ٦ م٣ ص٣١ – ٣٢.
(٤) الإحاطة في أخبار غرناطة: جـ١ ص٤٣٤. أعلام النساء : جـ٥ ص١٦٩.
(٥) المصدر نفسه: جـ١ ص٤٣٥.

ألا قُلْ لنزهونةٍ ما لها تَجرُّ من التيهِ أذيالها

فأقسَم أبو بكر بن سعيد ألاّ يزيد أحدُهما على الآخر في هجوه كلمة. وطلب أن يكفا عن السباب والقدحِ. (فقال المخزومي: - أكُونَ هجّاء الأندلس ... وأكفُّ عنها دون شيء) [1]

فقال : - أنا أشتري منك عرضها، ويطلب المخزومي الغلام الذي قاده إلى المنتدى ثمنا لذلك. على ما يبدو أن الشاعر ونزهون قد أصلحا حالهما فيما بعد. إلاّ أنّ هذه المواقف تعطينا صورة واضحة لمجالسهم الأدبية. وما كان يدور فيها من مساجلات. وإذا كان المخزومي ماجناً[2] . وعد من هجائي الأندلس، فقد (لا يفوت مجونه مجون نزهون) [3]، (لما اقتضاه العصر من مثل ذلك) [4]، من مهاترات.

وصل إلينا من شعرها عشرون بيتاً ، ثلاثة منها في وصف ليالي الأُنس واللقاء. وبيتان في الرد على عتاب أبي بكر بن سعيد ، وخمسة عشر بيتاً في غرض الهجاء. وأيَّ هجاء الذي نَمَّ عن لا أخلاقية وتَهتكٍ للأعراض وإبتذال في الأقوال. وفُحش وإنحلال وذكْرِ عَورات وقاذورات. أمّا الموشحةُ التي أشرنا لها فقد كانت في موضوع الغَزل نَذكرُ منها المَقطع الأول[5] فَقَطْ، ونكملها في الغزل من شعر النساء.

بأبي مَنْ هَدَمَ جِسمي والقُوَى طرَفُه الأحور

وسقاني ما سقى يوم النّوى ويحَ من غَرّر

كُلما رُمْتُ خضوعاً في الهوى تاه واستكبر

---

(١) المصدر السابق نفسه: والصفحة نفسها.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة : حـ١ ص٤٣٥.

(٣) انظر مجلة علوم إسلامية : ص٣ عدد ١ سنة ١٩٦٠.

(٤) نفح الطيب: حـ٥ م٣ ص٣٣٩.

(٥) مجلة علوم إسلاميّة : ص٥ عدد ١ سنة ١٩٦٠ نقلا عن المخطوطة الوحيدة التي عند الأستاذ . ج . س . كلين.

يا لَه مـن شـادنٍ صـيّرني رَهْـنَ أشـجانِ
لم يَدَعْ في الحورِ منه عِوضـاً عِنـدَ رضـوانِ

لقد عُرِفت نزهونَ بكَثْرَة مُخالطَتها للرجال ومهاتراتها معهم وممّا يُؤثر عن لقاءاتها بهم. فَقَدْ سَجّلَ لها التأريخُ نوادرَ تَمُسّ الكرامَة. ومن نوادرها قولها للشاعر ابن قزمان المتوفى سنة (٥٠٨هـ) بعد ارتجال بديع[١]، (وكانَ قبيح المنظر) [٢] (أشقرَ أزرقَ كبيرَ البطنِ) [٣] (يَلْبَسُ غفارةً صفراء) [٤] على زيّ الفقهاء[٥].

وتمضي في الدَعابة والفَكاهة ، فتنطقُ بحقه قائلةً:

(أحْسَنتَ يا بَقرةَ بني إسرائيل ، إلاّ أنكَ لا تَسُرُّ الناظرين) [٦] فَضِحكَ الحَضورُ منه[٧]، وغَضِبَ وثار إبن قزمان فقال لها:-

(إنْ لَمْ أَسُرَّ الناظرين، فأنا أَسُرّ السامعين، وإنما يُطلَبُ سرُورُ الناظرين منك يا ...) [٨] وتَمَكَّنَ السُكرُ منهُ وتدافعوا مَعَهُ حتى رَموهُ في البركةِ، ولَمْ يَخرج منها الاّ وقد شَرِبَ ماءً كثيراً وثيابه تَهطُلُ، فقال : إسمَعْ يا وزير. وأَنشَدَ أبياتاً وَصَفَ نزهونَ

---

(١) النفح : حـ٦ م٣ ص٣٢.
(٢) المغرب : حـ٢ ص١٢١.
(٣) نزهة الجلساء: ص٩٩.
(٤) المغرب: حـ٢ ص١٢١.
(٥) النفح: حـ٦ م٣ ص٣٢.
(٦) المصدر السابق: والصفحة نفسها.
تُشير إلى الآية الكريمة: التي رقمها (٦٩) وردت في سورة البقرة (قالوا أدعُ لنا ربّكَ يُبيّن لنا مالَوْنها قال إنهُ يقول إنها بقرةٌ صفراءُ فاقعٌ لونها تسرُّ الناظرين). وانظر المغرب : حـ٢ ص١٢١ جاءت (كلمة أصبت بدلاً من أحسنت).
(٧) المرأة العربية: حـ٣ ص١٣٤.
(٨) النفح : حـ٦ م٣ ص٣٢.
• ابن قزمان: شاعر من شعراء الأندلس، وفيما ذكر عنه في القلائد: ص٢١٣-٢١٤ (شاعر مبرز في البيان وزير كاتب . طاهر الأثواب من كل دنس إلاّ أن الزمان غدر به وأساء). جاء ذكره في الصلة: حـ٢ ص٥٤٠ طـ. (١٩٥٥) وترجم له في الاعلام: حـ٧ ص١٢٧. توفي (٥٠٧هـ) ، أخره الشاعر الزجال محمد بن عيسى (ت ٥٥٥هـ).

فيها بابشع الألفاظ، وخُروجها عن حدِ الآدابِ لأنهم تَقَصدوا فَي هَتكِ سِترها مما دَعاها أنْ تَهتكَ سترهم، فبدت في مجالسِهم ذات قلب كبير عند اشتداد العواصف ، وصفحة من صفحات البلاغة العربية بفطنتها وفصاحتها، وكانت جريئةً في قولها وقد رفعت الحياءَ . بالوقت الذي (ينبغي للمرأةِ إن يكونَ فيها الحياءُ) [1] . وجازفت في أحاديثها[2] الممزوجة بالظرف ، وبحضور جواب وسرعة بديهة... فكانت تقرأ على أبي بكر المخزومي الأعمى، فدخل عليها أبو بكر الكتندي[3] الشاعر الغرناطي وأراد أن يداعبه شعراً، ويُخْبِرهُ بجمالِ نزهونَ ، فتنة للناظرين وإنّ نعمة البصر حرمته من تلك المتعة فقال[4]:-

(لو كُنْتَ تُبصرُ من تكلمهُ).

فلاذَ الضريرُ بالصَمتِ ولم يَجدْ جَواباً، ولم يَستطعْ القولَ. فسارعت هي إتمامَهُ فأجابت : (لغَدَوتَ أخرَسَ من خَلاخِله) . وأضَافَتْ إليهِ بيتاً آخر، سنذكره في غرض الفخر من شعر النساء.

واشتُهِرَتْ بكَثْرةِ مُخالطتها ومناظَرتها للشعراء وقد ألْمَحَ الوزيرُ أبو بكر سعيد إلى كثْرةِ زُوارِها وعشاقِها بَعدَ أنْ أقْلَقَتْهُ الغيرةُ عليها فَكتَبَ إليها قائلاً[5]:- [المجتث]

يا مَنْ لَهُ ألفُ خِلٍّ ... من عَاشِقٍ وصَدِيقِ
أراكَ خَلَيْتَ للنا ... سِ مَنزِلاً في الطَرِيقِ

---

(١) انظر العباس بن نور الدين الموسوي المكي: نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس: حـ١ ص٥٦٦. المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف/ ١٩٦٧م.

(٢) انظر ما دار بينها وبين أبي بكر المخزومي الأعمى في الإحاطة: حـ١ ص٤٣٤.

(٣) لقد ورد في هامش النفح: حـ٦ م٣ ص٣٢ (الكندي) والدر المنثور: ص٥١٩.

(٤) الكتندي : ولعله محمد بن عبد الرحمن، الشاعر الغرناطي المشهور.

(٥) المغرب: حـ٢ ص١٢١. نفح الطيب: حـ٦ م٣ ص٣١. وانظر أعلام النساء: حـ٥ ص١٦٨.

فأجابته ببيتين تذوب عذوبة وتتمّ عن مكانته المميّزة في قلبهـا إذ قالـت[1]:

[الطويل]

حَلَلْتَ أبـا بكـرٍ مَحـلاً مَنَعتُـهُ سِواكَ، وهَلْ غيـرُ الحبيـبِ لَـهُ صَـدري

وإن كانَ لِيْ كَمْ من حَبيبٍ فإنمـا يُقـدَّمُ، أهـلُ الحـقِّ فضـلَ أبـي بَكـرِ

إن هذه الشاعرة الوَشّاحة الصادحة السريعة البديهة التي فاقت الشعراءَ الكبارَ في مرِّ هجائها وحُضورِ ذِهنها نَراها قد خَلَعتْ عليها حلّةً من قبيحِ القولِ في الندواتِ الصاخبةِ بالعَبَثِ والمجُونِ التي أقامتها في غِرناطةِ، تلك المرأةُ التي امتازت بالجمـالِ الفائقِ وحِفظِ الشعرِ والأمثال وصنعُ الموشحاتِ . واستطاعت إجازة عجز بيت علـى حين عجز عنه (بشار الأندلس، أبو بكر المخزومـي). واسـتظرفها وزراء زمانهـا وأولعوا بها وبمحاضرتها الشعراء. لقد ورطوها فيمن أساءَ سُمعتها وضَرَّ بمَصلحَتها. بأساليبَ وألفاظٍ، سَبَّبَتْ لها، قَلَقاً، وشقاءً نفسيّاً، واجتماعياً. على الرَغمِ من أنَّها مَلكـتْ حريةَ التعبيرِ عن تفكيرها لكنها أغفَلَتْ أنَّ كرامةَ المرأةِ مرتبطةٌ بحريتِها في تعبيرها، فأطلقت العنانَ لِنَفسها مع الرجالِ في المُنتَديات الشعريّة معتقدةً بتعظيمِ نَفْسِها في الرّدِّ على الرجالِ بأفحشَ الألفاظ لأنّها ما كانت ترضي بالهوان.

---

(١) نفح الطيب: حـ٦ م٣ ص٣١.

(٩) ولّادةُ بنت المستكفي بالله[١] :-

آلينا أن نضعَ الأميرةَ ولّادةَ آخرَ المطافِ لكي نَلمَّ بنساءِ عصرِها وأحوالهنَّ، وَظُروفِهنَ وما دَارَ في مجالسِهنَّ، ونُحيطُ علماً بمنابعِ ثقافتَهنِ وسيَرِهنَّ وتعامل الرواةَ والمؤرخين معهنَ ، لكي لا تكونَ أحكامنا جائرةً أو سطحيةً بحقِ هذهِ الشاعرة التي كثيراً ما تَعَرضَتْ شخصيتها للدراسةِ والبحثِ وتناولتها أيدي النقاد والباحثين. هذهِ هي ولّادةُ بنت مُحمد[٢] بن عبدِ الرحمن بن عُبيدِ الله الناصر [٣] بن عبد الرحمن بن

---

(١) وردت أخبارها وأشعارها في ديوان ابن زيدون: طبعة علي عبد العظيم وطـ كامل الكيلاني وخليفة. وطـ. نديم مرعشلي. فضائل الأندلس وأهلها: ص٤٧. قلائد العقيان: ص٨٢ -٨٤ -٩١ - ٩٢ . الذخيرة: م١ ق١ ص٤٢٩ -٤٣٢. المصدر نفسه ٤٣٣ أخبار والدها. بغية الملتمس: ٥٣١ -٥٣٢ ترجمة ١٥٩٥ طـ. مدريد وطبعة أخرى: ص٥٧١. الصلة : حـ٢ ص٦٩٦. المطرب من أشعار أهل المغرب: ص٧ - ١٠. فوات الوفيات: حـ٤ ص٢٥١. تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون : ص٤ -١٠ -١٣ . نزهة الجلساء: ص١٠١ - ١٠٤. نفح الطيب: حـ٥ م٣ ص٣٣٦ -٣٤٢. الدر المنثور: ص٥٤٥ -٥٤٩. إعلام النساء: حـ٥ ص٨٧. الاعلام: حـ٨ ص١١٨. المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: حـ٣ ص١٣٠ . شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ص٢٤٣ -٢٤٥. هنري بيريس: الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر: ص٣٩٩ -٤٢٨ -٤٢٩. منشورات معهد الدراسات الشرقية – كلية الآداب بالجزائر. المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة: ص٢٤٣- ٢٤٤- ٢٤٥ . النساء العربيات: ص١٨-١٩ . دولة الإسلام : ص٥٥. اشبيلية في القرن الخامس الهجري: ص١٧٥ - ١٨٠. بطرس البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث: ص١١٥ - ١٢١. طـ الرابعة دار صادر بيروت. ملامح الشعر الأندلس: ص١٣٥.د. صلاح الدين المنجد: معجم بني أمية: ص٢١٧. هنء دويدري: ثقافة المرأة الأندلسي: ص٥٧ - ٦٤. المستشرق الألماني فيلهم هوينرباخ: مجلة الأندلس، مجلد سنة ١٩٧١ ص٤٦٧-٤٧٣. عبد الرازق الهلالي : ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون، بحث قدمه بمناسبة الاحتفال بالذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون- الذي اقيم بالرباط سنة ١٩٧٥. طـ المعارف بغداد -١٩٧٦.

مجلة الكتاب: عدد خاص بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة ابن زيدون – يصدرها اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين – مطبعة دار الحرية -١٩٧٥.

(٢) ديوان ابن زيدون: ص٢٩ تحقيق علي عبد العظيم. ورد اسمها في قلائد العقيان: ص٨٢-٨٤-٩١-٩٢. (ولادة بنت المهدي. الذخيرة : م١ ق١ ص٤٣٣. فوات الوفيات: حـ٤ ص٢٥١.

(٣) الذخيرة : م١ ق١ ص٤٣٣ (الناصري).

محمد [1] المرواني[2] سَمى والدها نَفسَهُ المستكفي بالله بعد بيعتهُ سنةَ أربع عشرة وأربعمائة[3]. ولَمْ يَدُمْ[4] حُكمَهُ إلا سبعةَ عشرَ شهراً صِعاباً نَكِدات[5] . وقد أجمعتْ المصادرُ التاريخية التي أرَّخَتْ حياتُهُ بأنهُ سقيمُ السرِّ والعلانية. أما ابن حيان المتوفى سنة (٤٦٩هـ) فقال عنه كان (مجبولاً على الجَهالة . عاطلاً من كلِّ خلةٍ تَدلُّ على فَضيلة) [6] ويراه المقّري (ت١٠٤١هـ) (خاملاً ساقطاً) [7]. فيبدو أنه كان ضعيفَ الرأي مشهوراً بالتخلفِ والانغماسِ في ملاذِه.

أما ولاّدة فلعلها إبنة سكرى المورورية ، وهي أمةٌ (مسيحيةٌ حبشيةٌ)[8]. قيل إنها (إمرأة خبيثة) [9]. والحبشيةُ هذه أنجبت بنتاً شَهِدَ لها الرجالُ بالسِحْرِ والحلاوة. وبدت خلافاً لذويها. فكانت كما وصفتها الأشعار[10]، وكتب التراجم[11]. والأدب

---

(١) بغية الملتمس : ص٥٧١. الصلة: حـ٢ ص٦٩٦. نزهة الجلساء: ص١٠١. النفح : حـ٦ م٣ ص٣٣٦.

(٢) الصلة : حـ٢ ص٦٩٦ . المطرب: ص٧-٨.

(٣) الذخيرة : م١ ق١ ص٤٣٣ . النفح: حـ٥ م٣ ص٣٣٩.

(٤) الصلة : حـ٢ ص٢٦-٢٧- كانت (أمه أم ولد اسمها حوراء). ولم يدم حكمه إلا ستة عشر شهراً وأياماً. انظر ترجمته في الأعلام: حـ٧ ص٦٣ -٦٤. وقيل عنه كان في غاية الصنعة والسقوط.

(٥) الذخيرة : م١ ق١ ص٤٤٧.

(٦) المصدر السابق نفسه: والصفحة ٤٣٤. البيان المغرب: حـ٣ ص١٤١ وإعلام الأعلام : ص١٣٦.

(٧) النفح: حـ٥ م٣ ص٣٣٨.

(٨) الذخيرة : م١ ق١ ص٤٣٣. ديوان ابن زيدون: ص٢٩. علي عبد العظيم.

(٩) الذخيرة: م١ ق١ ص٤٣٣.

(١٠) انظر ديوان ابن زيدون: ص١٤٤ ، ١٤٥، ١٧٩، ٤٨١، ٤٨٢.

(١١) قلائد العقيان: ص٨٢، ٨٤، ٩١، ٩٢. الذخيرة : م١ ق١ ص٤٢٩ - ٤٣٢ . المطرب: ص٧ - ١٠. فوات الوفيات: حـ٤ ص٢٥١.

(واحدةُ زمانها المشارُ إليها في أوانها)[1] ناهيكَ عن جَمالها ، وَمشْقِ قَوامِها. ورشاقَةِ ظباها. وفِتنةِ نَظراتها، ولين عِطافِها.

لقد وصفها ابن زيدون المتوفي (٤٦٣هـ) وَصفاً دقيقاً أيام شبابها وأيَّدهُ ابن بسام المتوفي (٥٤٢هـ) بقوله كانت (واحدة أقرانها) [2] فكانت طويلة القامة والعنق، بارزة الصدر دقيقة الخصر، ممتلئة الردف، عيناها حوراوان وأهدابها وطف. بدت أنيقة في ثوبها المخطط الحريري الموشي بالخز... يقول[3]: [الطويل]

وفي السيَّراء[4] الرَّقْم وسط قبابهم ... بعيدُ مَناطِ القُرطِ أحورُ أوطَفُ

تبايَن[5] خَلقاهُ، فَعَبلٌ مُنَعَّمٌ ... تأوَّدَ في أعلاه لَدْنٌ مُهفهفُ

وكانت ولّادةُ صافيةَ البشرةِ بيضاءَ كالفضةِ. شعرهَا ذهبيٌّ براقٌ كالتبرِ. وتُزيِّن صَدرَها بعُقودِ اللؤلؤِ المزدوجةِ. والخلاخيل وهي سليلةُ بيتِ ملكي تغمُرها النعمةُ والرفاهُ وفيها قال [6] صاحبها:- [البسيط]

أوْ صَاغَةُ ورقاً مَحْضَاً وتَوّجَهُ ... من ناصعِ التِّبر إيداعاً وَتَحْسِيناً

---

(١) الدر المنثور: ص٥٤٥.

(٢) الذخيرة: م١ ق١ ص٤٢٩، النفح: حـ٥ م٣ ص٣٣٦.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص٤٨١ -٤٨٢ تحقيق علي عبد العظيم.

(٤) السيَّراء: نوع من الثياب فيه خطوط صفر أو يخالطه الحرير أو الذهب الخالص. الرقم: الخز أو ضرب مخطط من الوشي. مناط الشيء : مكان تعليقه أوطف: طويل أهداب العينين. والمعنى في الحلل المذهَّبَة الموشاة بين قبابهم يميس حبيب لي كالغزال طويل الجيد أحور العينين طويل الاهداب.

(٥) تباين : اختلف وتباعد، عبل : ضخم (الردف)، تأود : انعطف وتمايل ، لدن: طرى، مهفهف ومهفف: ظاهر البطن، والمعنى اختلف أعضاء جسمه في الصفات، فهو ضخم الردف ضامر الخصر ممشوق القوام.

(٦) ديوان ابن زيدون: ص١٤٤ – ١٤٥.
الورق: الدراهم الفضية. والمعنى أنه أبيض الوجه ذهبي الشعر. تأود: تمايل، آدته: أثقلته ، تؤم العقود: عقود مزدوجة من اللؤلؤ، البرى: الخلاخيل، جمع برة، والمعنى إذا تمايل لم يطق حمل الحلي الكثيرة لرقته ولينه.

إذا تَـــأوَّد آذاتْهُ رفاهيـــــةً تَؤُمُ العقودِ ، وأدمتهُ البُرى لينـــا

وكان لها (خالٌ أسودُ) في خدِها أضافَ لها حُسناً آخر. يقول[1]:- [السريع]

مُفضّضُ الثَغرِ لَهُ نقطةٌ من عَنبرٍ في خدِّهِ المذْهبِ

يقول[2] في قوامها الممشوق، وخطاها الرشيقة. ونظراتها الفاتنة:- [البسيط]

يا ألينَ الناسِ أعطافاً، وأفْتَنَهُم لَحْظاً، وأعطرَ أنفاساً وأردانا

وكانت تجمع إلى جمال الخلقة جمال التزين وعذوبة الحديث فهي فنانة فـــي إظهار مواطن الحسن فيها، فكانت عذبة الخلال ظريفة الخصال، يقول ابن زيدون[3]: [الطويل]

له خُلقٌ عذبٌ وخَلقٌ محسّنٌ وظُرفٌ كعُرفِ الطِيبِ أو نَشوةِ الخمرِ

يُعلِّلُ نفسٌ من حَـــديثٍ تلـــذّهُ كمَثَلِ المنى والوصلِ في عُقُبِ الهجرِ

لقد حَفلَ ديوانُ ابن زيدون بصورها، ووصف هيامه فيها لجمالهـــا وحســـن حديثها، وأدبها، وربما لتربيتها التي عني بها والدها على عادة الملـــوك والـــوزراء. وكانت أنيقة في مظهرها لبقة فى تصرفاتها .. ثبت على مستوى عالٍ من المعرفـــة. وكان لجمالها الساحر، وذكائها النادر، وفتنتها للشعر وتذوقها له، وإجادتها الغنـــاء[4] والضرب على الآلات الموسيقية أثر كبير لامتلاك قلوب الرجال[5] ولا ننســـى قـــوة شاعريتها ومن أخبارها ما قاله الفتح بن خاقان المتوفي سنة (٥٢٩هـــ) (وكانت فـــي

---

(١) الديوان : ص٣٢.

(٢) الديوان: ص١٧٩.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص١٢٣.

(٤) نفح الطيب: حـــ٥ م٣ ص٣٣٩.

(٥) ابن نباتة المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: ص٢٢. وانظر الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر: ص٤٠٠.

الأدب والظرف، وتتميم المسمع والظرف بحيث تختلس القلوبَ والألباب وتُعيدُ الشيبَ إلى أخلاق الشبابِ) [1]. فكان لها شاعريةٌ لا تختلف عن كثير من فحول الرجال الذين جرى حديثهم على الأفواه أعذبَ من حُلوِ الشَهدِ والمياه. (وفاقت البرعاء) [2] (وكان مجلسها بقرطبة منتدى لا حرار المصر) [3] وكان لا يغشاه إلا الجهابذة، ولا يتردد عليها إلاّ أكابر الأساتذة، وهي صورة واضحة لثقافة المرأة وفكرها وأدبها وحسن بيانها، وبلاغة منطقها من أحسن الصور وأروعها والذي برزت فيه ولاّدة (أكثر دربة وذكاء) [4]. واثبتت قدرة ومهارة ودهاء. وقال فيها ابن بسام المتوفي (٥٤٢هـ) (وأمّا ذكاءُ خاطِرها. وحَرارة نوادرها فآيةٌ من آيات فاطرها) [5]. ومنهم من وصف (نباهتها وفصاحتها وحرارة نادرتها، وجزالة منطقها) [6]. لقد أثنى الفضلاء على فضلها) [7] حيث كانت (شارعة جزلة القول ، حسنة الشعر فاقت البرعاء) [8] قد يكون ذلك (لمخالطتها للشعراء ومساجلتها الأدباء) [9] ولها معهم أخبار... ولها مع أبي الوليد أحمد بن زيدون المتوفي سنة (٤٦٣هـ) (أخبارُ طوالٌ وقِصار ، يفوت إحصاؤها ويشقّ استقصاؤها)[10] . وذكر الفتح بن خافان المتوفي (٥٢٩هـ) إنه (كان يكلف بولاّدة ويستضيء بنور تخيلها في اللّيل البهيم) [11] . وفيها خلع عِذارَه[12]

---

(١) قلائد العقيان ص٨٢.
(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب: ص٧ – ٨. النفح : حـ٥ م٣ ص٣٣٩.
(٣) الذخيرة: م١ ق١ ص٤٢٩.
(٤) الصلة : حـ٢ ص٦٩٦. أشبيلية في القرن الخامس الهجري: ص١٧٦.
(٥) الذخيرة: م١ ق١ ص٤٣٢.
(٦) الصلة: حـ٢ ص٦٩٦.
(٧) بغية الملتمس: ص٥٧١.
(٨) الصلة : حـ٢ ص٦٩٦. نزهة الجلساء: ص١٠٣.
(٩) نزهة الجلساء: ص١٠٣. د. صلاح الدين المنجد: معجم بني أمية: ص٢١٧.
(١٠) الذخيرة: م١ ق١ ص٤٣٠.
(١١) قلائد العقيان: ص٨٢.
(١٢) فوات الوفيات: حـ٤ ص٢٠١. النفح: حـ٥ م٣ ص٣٦٦.

وهام بها كلّ هيام. وارسل[1] أجمل الأشعار وأرقّها، ومن قصائده الخالـدة، قصـيدته القافيّة التي أرسلها إلى حبيبته والتي مطلعها[2]:

إني ذكرتُك بـ(الزّهراء) مُشتاقاً

والأفقُ طلقٌ ، ومرأى الأرضِ قدْ راقا

والقصيدة الثانية التي نالت شهرة عظيمة، وثارت حولها الأساطير حتى قيل: (ما حفظها أحد إلاّ مات غريباً، ولهج كثيرون بأنّ إنساناً لا يتم لـه الظـرف مـالم يحفظها) [3] وهي:-

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ونابَ عن طيبِ لُقيانا تَجافينا

فجّرت ولادة طاقة الشعر الكبرى وأشعلت جذوة الصبابة المحرقة في نفسـه وروحه وقال فيها ما قال من رائع القصيد. وربما نتسنتج من كل ذلك، أن دور المرأة في بعث شعر الغزل والحث على القول كان عظيماً، فسُجّلَ لولاّدة هذا الـدورالمميز،

---

(١) انظر ترجمة ابن زيدون في ديوانه: ص٢١ – ٤٧ علي عبد العظيم.
القلائد: ص٧٩ – ٩٣. الذخيرة: م١ ق١ ص٣٣٦ – ٤٢٨.

- ابن زيدون: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي أبو الوليد، قـال ابـن بشكوال ولد سنة ٣٧٤هـ- وتوفي سنة ٤٣٣هـ، إلاّ أنه اتفق أكثر المؤرخين في تثبيت وفاته سنة ٤٦٣هـ. وقال فيه صاحب جذوة المقتبس: حـ٤ ص٢٠٥، شاعر مقدم، وبليـغ مجـوّد كثير الشعر، قبيح الهجاء. وقال فيه ابن بسام : كان صاحب منثور ومنظوم، وفاتحة شـعراء مخزوم. وقال عنه ابن بشكوال (حافظاً للقرآن العظيم مجوداً لحروفه كثير التلاوة له. وكـان معتنياً بسماع العلم من الشيوخ وروايته عنهم).

(٢) ديوان ابن زيدون: ص١٣٩ -١٤٠. تمام المتون: ص١٣.

(٣) المصدر نفسه: والصفحة : ١٤١. تمام المتون: ص١٢.

وكان لها الصدارة فيه. ولا يغرب عن بالنا دورها الثقافي الذي اطلعنا عليه في (ملازمتها لتأديب مهجة القرطبية) [1] ورعايتها وتعدها لها.

وقيل إنها أجيزت في الافتاء والتدريس [2]. وكانت (حسنة المحاضرة مشكورة المذاكرة) [3] . ويقول لسان الدين بن الخطيب المتوفي سنة (٧٧٦هـ)، ما معناه ، بأن النساء (قَلّدنَ ولاّدة في محاسنها) [4]. إن هذه الرائدة الفذة أصبحت في شخصيتها قدوة حسنة للنساء لذا قلدنَها. وكانت (أشهرنَ) [5] وأشعرهنَ[6] وأجملهنَ[7]، لذا (هذى باسمها، وتصرَّف على حُكمِها) [8]. الرجال فشعرها كان يلقى ترحيباً وتشجيعاً من الوزراء والأدباء الذين يفدون على منتداها. ولم يكن ابن زيدون وحده فارس هذا الميدان، وإنما كان ابن القلاس[9]. وأبو عامر بن عبدوس[10] الوزير المتوفي سنة (٤٧٢هـ) الذي كان أحد أعيان قرطبة[11] المشهورين فراحوا يتنافسون على قلبها ولم يَحضِ بهِ إلاّ ابن زيدون، لأنَّ جَلَّ أشعارها وَردتْ فيهِ ، وقد أبلغ ابن زيدون أن أبا عبد الله محمد البطليوس المتوفي سنة (٤٩٠هـ) اتصل بولاّدة فكتب

---

(١) المغرب: حـ١ص١٤٣. نزهة الجلساء: ص٩٣. النفح : حـ٦ م٣ ص٢٨. وانظر ثقافة المرأة الأندلسية: ص٥٦ -٦٣.

(٢) ديوان ابن زيدون : ص٢٨ تحقيق نديم مرعشلي.

(٣) النفح : حـ٥ م٣ ص٣٣٦. فوات الوفيات: حـ٤ ص٢٥١.

(٤) الإحاطة : حـ١ ص٤٣٨.

(٥) النفح : حـ٥ م٣ ص٣٣٦.

(٦) الذخيرة : م١ ق١ ص٤٢٩، معجم بني أمية: ص٢١٧. النفح: حـ٥ ص٣٣٩.

(٧) النفح : حـ٥ م٣ ص٣٣٩.

(٨) الذخيرة: م١ ق١ص٤٣٢.

(٩) ديوان ابن زيدن: ص٣٢ – نديم مرعشلي.

(١٠) الذخيرة : م١ ق١ ص٤٣١.

(١١) المصدر نفسه. والصفحة نفسها.

إليه قصيدة طويلة، وكان يكنى بأبي عبد الإله. نكتفي بـذكر مطلعهـا:- [مجـزوء الوافر]

أيا[1] عبدَ الإله إسـمَع ... وخُـذْ بمقـالتي أوْدَعْ
واقصِـرْ بَعـدَها أوْزِدْ ... وطِرْ في إثرِها أوقِـع

على ما يبدو أن سبب شهرتها وامتيازها على غيرها من شاعرات الأندلس- لما قاله فيها من رائعِ[2] القصيدة - فاستأثرت من دونهن بمزيد مـن الإهتمـام مـن مؤرخي الأدب وناقديه وأصحاب الرواية والأخبار القدامى ، كذلك انفردت ولاّدة فـي بحوث[3] ومقالات[4] المحدثين. وكثيراً ما تعرضت شخصيتها للدرس والتحليـل مـن المستشرقين الأجانب والعرب الباحثين. إلاّ أنّ جَلّ التُهم التي لحقت بها في الدراسات الحديثة أطلقها الباحثون دون دراسة لظروف العصر وميزاته. كما أنهم ابتعدوا عـن الظروف التي أحاطت بالمرأة، وما وصلت إليه من رقـي عقلـي وثقـافي متنـوع المشارب تَشرئبُّ له الأعناق، ولم يحطِ أحدهمِ علماً بطريقةِ تزينها واناقتها التي فاقت فرنسا في العصر الحديث[5] فجاءت أحكامهم بعيدة عن واقعِ المرأة.

فقد خَرجَ الأستاذ علي عبد العظيم برأي هو أنّ ولاّدة (مصابة) بـ(السـادية Sadism) فقال ما نصه: (ولكننا نستطيع أن نجد تعليلاً مقنعاً لجميع تصرفاتها، هـذا التعليلُ هو أنّها مصابةٌ بالسادية) [6] وهو حب إيقاع التعذيب على الجنس الآخر.. وقد

---

(١) تمام المتون: ص١٢. ديوان ابن زيدون: ص٥٧٨ ورد في الديوان:
اصغ لمقالتي واسمعْ وخُذْ - فيما ترى - أوْدَعْ.
(٢) انظر ديوان ابن زيدون . القصائد التي قيلت في ولاّدة.
(٣) انظر بحث الدكتور عبد الرزاق الهلالي. وبحث لسلمى الحفار. بحث لأبي القاسم محمد كـرّو تحت عنوان شوقي وابن زيدون في نونيتيهما.
(٤) مقال نشر في مجلة الكتاب في الذكرى الألفية لوفاة ابن زيدون للدكتور محسن جمال الدين، لم نعثر عليه.
(٥) انظر المبحث السابق (جمال المرأة وزينتها).
(٦) ديوان ابن زيدون: ص٣٨. تحقيق علي عبد العظيم.

رد الأستاذ[1] عبد الرزاق الهلالي مدحضاً رأيه قائلاً: والذي نراه، أن هذا الرأي ، غير مقنع ، ذلك لأن المصابين بالسادية لا يقتصرُ حُبُّهمُ على إيقاع التعذيب على الأخرين، في كل زمان ومكان بل الذي ندريه، أن (السادية) كلمة مشتقة من اسم (الماركيز ده ساد) الذي كان يمارس التعذيب وقت ممارسة الحب مع خليلته. فقد قيل إنه كان يعذب خليلته عذاباً شديداً ويجد لذة فائقة وهو يراها تتعذب ذلك العذاب الشديد[2]، ولذا يمكننا الاقناع بهذا التعليل. ما لم يثبت بالدليل القاطع أن (وَلاّدة) كانت تعذب عشاقها أثناء ممارستها الحب معهم. فأين هو هذا الدليل؟!. لقدرفع عنها الهلالي مرض السادية الذي ألحقه بها علي عبد العظيم ، ليوقعها بمرض أخطر . والعن منه هو الهستيريا، والشذوذ (Homesexuality) كان هذا عنواناً لفصله (ولاّدة بين الهستيريا والشذوذ الجنسي). نشره ضمن بحث له تحت عنوان (ولاّدة وابن زيدون) عام ١٩٤٧، وقد علّل الباحث إصابتها بالهستيريا لأنه وجد على حد تعبيده تقارباً بين ما قاله الدكتور أوكست[3] فوريل في كتابه (الإنحراف الجنسي) ما نصه: - (إنّ للمصابين بالهستيريا، من الرجال والنساء حياة تناسلية غريبة، والهستيريا مرض يتوقف على الإيحاء الذاتي، أو على النفور المرضي للنشاط النفسي، وينتج من هذا، أن خيال المريض قد يدفعه إلى آراء وأعمال متناقضة كل التناقض. فالحب والكراهية من العواطف التي كثيراً ما تتعاقب في شعور المريض.. فلقد يلهب الحب، امرأة مصابة، بالهستيريا، فتبدي ظواهر شهوانية عجيبة وتندفع إلى الإفراط في العلاقات الجنسية مع الرجل الذي تحبه اندفاعاً عجيباً ، بينما قد تشعر بالاشمئزاز والنفور أو عدم الاكتراث ، إزاء شخص ما، فتصبح عواطفها باردة غاية

---

(١) ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون : ص٢٥.

* (يطلق اسم السادية على لون من الشذوذ الجنسي ترتبط اللذة بالعنف وذلك نسبة إلى (الماركيز دي صاد) الذي كان مولعاً بذلك في كتاباته وحياته الشخصية) الجنس في الأدب العالمي. الدكتور صلاح عدس. القاهرة. نقلاً عن المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٢) ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون: ص٦٠.

(٣) المصدر نفسه : ص٢١.

البرود) [1]. وبَيّنَ شخصية ولّادة (في تقلبِ أهوائها وعدمِ استقرارِها على حالٍ ، وسلوكها مع من أخلصوا لها بالحبّ، شَبَها كبيراً بالأوصاف التي عرضَها الدكتور فوريل) [2]. والحقيقة تقال" لم يُعرف عن ولّادة أنها متقلبة الأهواء وبعيدة الاستقرار على حال. أما إذا كان بخصوص علاقتها من ابن زيدون، فهناك جملة أسباب قد تشكل سبباً لنفورها منه. فيرى الكاتب الإسباني (بالنثينا) [3] إن سبب ترك ولّادة لابن زيدون هو حبهُ وميلهُ إلى جاريتها عتبة بعد أن (سألها الإعادة، بغير أمر ولّادة، فخبا منها بَرقُ التبسم وبدا عارض التهجم)[4] . ويبدو أنها لتأجج وإشتعالِ نار الغيرةِ في قلبها، عاتبتَ عُتبة[5]، فقال ابن زيدون: (فَبتُنا على العِقاب، في غيرِ أصحابِ ، ودَمُ المُدامِ مَسفُوك، ومأخذ اللّهوِ متروك) [6].. فوقع الجفاء بعد أن كشفت قِلة الوفاء عند صاحبها، ولا ندري قد يكون ذلك لأسباب سياسية، فقد علق الدكتور جودت الركابي قائلاً (وقد يكون انضمام ابن زيدون لحركة الجهاورة قد ترك في نفسها أثراً سيئاً وهي بنت خليفة أموي فجاءت الغيرة تذكي في نفسها شتى الوساوس) [7] فتركته لسبب سياسي[8].

ومما يؤكد هاجسنا أن الجفاء حصل لأسباب سياسي هو قوله[9]:- [الكامل]

---

(١) ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون: ص٢١ – ٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٢.

(٣) انظر باقر سماكة: التجديد في الأدب الأندلسي: ص١٣٩ نقلا عن:

Angel Cenzalez palencia

Historia De La Literatura Arabigo And alaza.

p. ٦g – Barcelon a. ١٩٥٤.

(٤) الذخيرة : م١ ق١ ص٤٣١.

(٥) المصدر السابق نفسه: والصفحة نفسها.

(٦) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٧) جودت الركابي: في الأدب الأندلسي : ص١٧١.

(٨) البيان المغرب : حـ٣ ص٢٢٢.

(٩) ديوان ابن زيدون : ص٣٢٥.

أظنينةً دعوى البراءةِ شأنَها أنتِ العَدُو فَلِمْ دُعِيتِ حَبِيبَا؟*

وقد لَمّحَ ابن زيدون في بعض أبياته الشعرية بأن ولاّدة تنتمي إلى جماعة أعدائه ، قائلاً[1]:- [الكامل]

سَأُحبُّ أعدائي لأنكِ منهُمُ يا من يصح بمقلتيه ويُسقِمْ

وقوله[2]:- [المتقارب]

وما باختياري تسليتُ عنكِ ولكنّني مُكره لا بطَلْ

وقد يكون نفور ولاّدة من إبن زيدون لأسباب نقدية فقد أورد المقري[3] قَولهُ : (وكتبَ في أثناءِ كلام بعد الشعر: (وكنتِ ربما حثثتني على أنْ أُنبِّهكِ على ما أَجِدُ فيه عليكِ نقداً، وإنيّ انتقدتُ عليكِ قولكِ: (سقى الله أرضاً قد غدتْ لكَ مَنزِلاً).

فإنّ ذا الرُّمةِ قد انتقدَ عليه قَولَهُ معَ تقديم الدُّعاءِ بالسَّلامةِ: [الطويل]

ألا – يا أسلمي – يا دارَ عيَّ على البلى

ولا زالَ منهلاً بجرعائكِ القطرُ

---

* ظنينة: متهمة أيتها المتهمة بسفك دماء العاشقين مع أن مظهرك برئ وديع مثل الأطفال، لقد دعوناك حبيباً وكان الأولى أن نحشرك فى زمرة الأعداء.

(١) الذخيرة : م١ ق١ ص٣٧٤.

(٢) الديوان : ص١٨٩. الذخيرة: م١ ق١ ص٤٢٥.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص٧٨٣ -٧٨٤. نفح الطيب: حـ٥ م٣ ص٣٣٨. ذو الرمة: غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود (من مضر) أبو الحارث ذو الرمة شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره، كان شديد القصر، دميماً، يضرب لونه إلى السواد ولد سنة ٧٧هـ- توفي- ١١٧هـ. انظر الأعلام: حـ٥ ص٣١٩.

* لقد ذهبت زينب فواز سهواً عند ترجمتها لولادة معتقدة أن ولادة انتقدت ابن زيدون قوله والحقيقة عكس ذلك . انظر الدر المنثور: ص٥٤٩ وقارنه بالنفح: حـ٥ م٣ ص٣٨٨.

إذ هذا أشبهُ بالدُّعاء على المحبوب من الدُّعاء لَهُ، قد يكون هذا النقد الموجه سبباً، لنفورها منه ، بعد أن عُرف أنها أجيزت بالإفتاء[1] والتدريس. أو قد تكون كلُّ هذه الأسباب اجتمعت لديها وشكلت نفوراً من صاحبها الذي كشفت خيانته مع جاريتها السوداء. وهي الحرّة الجميلة وابنة الخليفة التي يشار إليها بالبنان سبباً رئيساً. ولنضع نُصب أعيننا غريزة الغيرة الطبيعية عند المرأة ، وحرصها على من تحب دفعها لأن تثأر لكرامتها المجروحة... علماً أن عبد الرزاق الهلالي بعد أن وصمها بالهستيريا قال (قد تكون على غير هذا النمط من السلوك) [2] لأنه يعلم أنه ليس لديه مبررات لذلك. فأي هستيرية هذه !!؟ وأنه سبق افتراضه بالحرف (قد) حين قال (قد تكون ولاّدة متأثرة بالهستيريا) [3]. الذي أفاد التقليل فيه.

أمّا فيما يخص باتهامها بـ الجنسية المثلية) فقد أشار الهلالي قائلاً: (ولا إخالني، متعسفاً، إذا ملْتُ إلى القول بأن ولاّدة كانت متأثرة، بالسلوك الجنسي الشاذ، لأني استند في ذلك إلى ما يقدمه، علم النفس الحديث من دراسات علمية في هذا الحقل) [4] . واستند على تفسير العالم النفسي (المستردبليو. جي ماكيرايد) في كتابه (مركب النقص) في تفسير السلوك الشاذ وذلك (بتقليدهن الرجال في لباسهن وأحاديثهن وفي كثير من عاداتهن الأخرى، التي لا تتفق هي وطبيعتهن!). واتخذ قوله ذريعة في (أن ولاّدة، لم تتزوج، وإنها جعلت دارها نادياً يغشاه أكابر الرجال، وأنها قالت من الشعر، حسبما رواه التاريخ أبياتاً، لم يجرؤ على قولها الرجال من الشعراء.. كما أنها لازمت تأديب (مهجة) القرطبية، بعد أن علقت بها[5].

---

(١) ديوان ابن زيدون: ص٢٨، نديم مرعشلي. ص٣٠ . علي عبد العظيم.

(٢) ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون: ص٢٢.

(٣) انظر المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) انظر المصدر نفسه:ص٢٠.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

وترد على علماء النفس قائلين بأن ولاّدة لم تقلد الرجال في لباسها، بل على العكس (قلدها النساء) [1] في أناقتها ومحاسنها. بعد أن كتبت على ثوبها بالذهب الأبيات المشهورة[2]. كما أ، أشعار ابن زيدون التي قالها فيها تؤكد لنا أنها فتاة منعّمة وأنيقة[3].

ولم يذكر المؤرخون على أنها قلدت الرجال في أحاديثهم، اللهّم إلاّ فيما يخصُ الألفاظِ التي وردت في أشعارِ الهجاء، التي وُرِطتْ بها فسببت لها إساءة لسمعتها. وهذا ما تطلبُه طبيعة مجالسهم وا اقتضته ظروفهم، فقد جاء في النفح نقلاً عن المغرب (وكان لها مجلسُ يغشاهُ أدباءُ قرطبة وطرفاؤها فيمر فيه النادر وانشاء الشعر كثير لى أقتضاه عصرها من مثل ذلك"[4].

ولو ألقينا نظرة فاحصة على مجالس الوزراء وما كان يدور فيها من أحاديث بينهم وبين الشواعر الحرائر أمثال نزهون[5] الغرناطية لعذرنا ولاّدة في ألفاظها لأنها بدت أكثر تحشماً منهنّ. فهل يعني أن نزهون هي الأخرى مصابة بـ(Homosexuality) !!؟

أما علاقة مهجة القرطبية بولاّدة فلم تكن إلاّ عَلاقة طالبة باستاذه . دخلت عليها[6] لتتلقي دروساً في الشعر وبعد أن لمست ولاّدة منها استعداداً وجرأة (تولت تعليمها) و (لازمت تأديبها) [7]. ويبدو أن تدريسها لها كان أثناء فترة صلاتها بابن

---

(١) الإحاطة : حـ١ ص٤٣٨.

(٢) الذخيرة : م١ ق١ ص٤٢٩ – ٤٣٠.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص٤٨١ –٤٨٢.

(٤) النفح: حـ٥ م٣ ص٣٣٩ نقلا عن المغرب.

(٥) انظر الإحاطة : حـ١ ص٤٣٣ – ٤٣٥.

(٦) المغرب: حـ١ ص١٤٣.

(٧) المصدر نفسه: والصفحة نفسها. نزهة الجلساء: ص٩٣. وانظر النفح : حـ٦ م٣ ص٢٨.

زيدون. فولّادة توفيت (٤٨٤هـ) [١] ومهجة كانت وفاتها (٤٩٠هـ) [٢] فهما متقاربتان في عمريهما. وليس لدينا أي شك في أن التعلم يحصل في مرحلة الصبا والشباب. فتبين لنا بأن ولّادة درّست مهجة أثناء انشغالهما بابن زيدون. (وصلاتها به تقطع بانوثيتها الطبيعيّة) . ثم ان هذا الاتهام دفعته مهجة بهجائها لولّادة حين اتهمتها بـ(Heterosexuality) [٣] الجنسية المغايرة. وكما قيل:-

وإذا أرادَ الله نَشرَ فضيلة

طُويت أتاحَ لها لسانَ حسودِ

وسنذكر البيتين في الهجاء من شعر النساء.

ومن تعليلات الهلالي في إثبات تُهمه لولّادة يَذكُر (بأنَّ الرواةَ لم يُسَجلوا إلاّ الأخبارَ والحوادث التي تقع تحت حواسهم ، وتُدْركها عقولهم ويرتضيها وجدانهم فهم أُناس ذوو إيمان وعقيدة صادقة، لا يريدون عن طريق التاريخ والأدب تحمل الآثام والذنوب بتسجيلهم الأخبار التي لا يرتضونها، والروايات التي لا تقبلها عقولهم) [٤].

لكننا لمسنا عَكس ذلك – فتراهم قد سَلطوا الأضواءَ على الجوانب المظلمة من شعرهن وأحاديثهن، فالمساجلات الشعرية التي دارت في مجالسهن حوت الدرَّ والمُخَشْلبَ. ولكنَّ غلبَةَ المُخشلبْ جاءَ واضحاً في شعرِهنَّ وحديثهنَّ فقد سَجلوا الأشعارَ والاحاديثَ والحوارَ المقذع بكل تفاصيله ولو إطلعَ عليه القارئ لثار اشمئزازُهُ من مَجالسهم، بالوقت الذي طوى المؤرخونَ أحاديثَهنَّ وأشعارهُنَّ الرزينة، وطُرفهنَ ونوادرهنّ الحكيمة والتي لو نُقلت لأضاءتْ كثيراً من جوانبهن النفيسة ولزالت الإشكال الذي نحن بصدده في قلةِ أخبارهن. وما حصَلَ مع ولّادة في

---

(١) ديوان ابن زيدون: ص٣٥.

(٢) الإعلام : حـ٧ ص٣١١.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص٣٨.

(٤) ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون: ص٢٠ – ٢١.

إضراب ابن بسام (عن ذكرِ أشعارها، وَطَوْيِهَا بأسرها)[1]. وهي إبنة خليفة، حصل مع غيرها من بنات العامة. ولو كان لها سلوكٌ غير طبيعي، لأسرعوا في تهويله وتلذذوا في تجسيده ونقله إلينا، وتَناقَلَتهِ الأقلامُ كما حدثَ في سيرةِ والدها حيث أجمعَ الرواةُ على أنهُ (ساقطُ الخُلقِ. عاهرِ الخَلوةِ، أسيرُ الشهوةِ لا يَهمهُ سوى بطنه و....) [2] ولا سيما وهم أساتذة في إطفاءِ الجوانب المضيئةِ المشرقةِ لشعرِ المرأةِ ونتاجها. ومع ذلك نَراهم قد أجمعوا على اشتهارها (بعلوّ نصاب وكَرمِ انسابْ. وطَهارةِ أثواب) [3] و (الصيانةُ والعفافة) [4].

أما التعليل الآخر الذي جاء به الهلالي[5] في إتهامه لها بالجنسية المثليّة. هو النظرةُ السطحيّةُ التي نظرها إلى حديثِ الرواة دون تمحيصٍ، وتدقيق حيث إدعى أنهم نَقلوا أخبارَها على مَضَضٍ فأكثروا من عبارة (عفا الله عنها – أو تَغَمَّدُ زَلَّتها) [6] ... ولكننا نرى أن هذا أكثرَ منه الرواةُ كانت عادتهم تَكرارُ كلمة (عفا اللهُ عنهَ). و(غفر الله له) وهو على ما نعتقد من باب (الدعاء له) وليس (الدعاء عليه). ولقد أشار إلى ذلك ابن دحيّة[7] الكلبي المتوفى سنة (٦٣٣هـ) قائلاً (ويتهالكُ أفرادُ الشعراءِ من الكُتاب على حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها، وكَثْرَةِ منُتابها، تَخْلطُ ذلك بعلوّ نِصاب، وسموّ أحساب على أنّها – سمحَ اللهُ لي ولها – وتغمدَ زللي

---

(١) الذخيرة : م١ ق١ ص٤٣٢.

(٢) الذخيرة: م١ ق١ ص٤٣٤. البان المغرب: حـ٣ ص١٤١. وانظر سيرته في أعمال الاعلام: ص١٣٦ . النفح: حـ٥ م٣ ص٣٣٨.

(٣) الذخيرة: م١ ق١ ص٤٢٩.

(٤) فوات الوفيات والذيل عليها: حـ٤ ص٢٥١. النفح: حـ٥ م٣ ص٣٣٩. الدر المنثور: ص٤٤٥. اعلام النساء : حـ٥ ص١٧٧.

(٥) ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون: ص٢٠.

(٦) المصدر نفسه : ص٢١.

(٧) المطرب: ص٨.

وزللها- إطْرَحتُ التحصيلَ، وأوْجَدتْ إلى القولِ فيها السبيل ، بقلّة مبالاتها، ومجاهرتها للذاتها) [1] فهل يَعني هذا أنّ ابن دحمّيَة الكلبي قد زلّتْ قَدَمُهُ ويَطْلبُ الغفرانَ ، أو أنّه أُصيب بمرضِ ولاّدة أو أُتهم باتهامها ويبتهل إلى الله بالسماح وتَغمد الزلل...؟ الجواب لا ولكن من عادة رواة الأندلس . في نقل الأخبار هو الإستطراد وتثبيت الجمل الاعتراضيّة التي تُفيد الدعاءَ لصاحبِ الخبرِ وليسَ الدعاءُ عليه.

أما ابن بسام[2] فقد نَقلَ لنا أخبارَ ولاّدةَ وذكرَ البيتين الشعريين اللّذينَ كَتَبَتْهما على عاتقي ثوبها ثم قال (هكذا وجدتُ هذا الخبر وأُبرأُ إلى الله من عُهدةِ ناقليه)[3] وإلى الأدب من غلط النقل إن كان وقع فيه)[4] فهو يبرئ نفسه من أخطاء نقل الرواة للأبيات والخبر ، ولم يقصد أن ولاّدة كانت تعاني من (أمراض) وأنّ الرواة اتهموها بذلك وهو يبرئ نفسه من هذه التهمة. كما صوّرها الباحثون.

ونَصّ ابن بَسام: (وكانت في نساءِ زَمانها واحدةَ أقرانها، حضورٌ شاهدٌ، وحرَارة أوابد، وحُسنُ منظرٍ ومَخبرٌ وحلاوةُ موردٍ ومَصدرٌ. وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر وفناؤها ملعباً لجيادِ النظم والنثر ، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غُرّتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، إلى سُهولةِ حجابها، وكثْرَةِ مُنتابها، تَخْلطُ ذلك بعلوٍّ نِصاب، وكَرمِ أنساب، وطهارةِ أثواب على أنها – سَمَح الله لها – وتغمد زللها –أطرحت التحصيل (واوجدت إلى القول فيها السبيل، بقلة مبالاتها، ومجاهرتها بلّذاتها. كتبت – زعموا – على أحد عاتقي ثوبها) [5]:-

[الوافر]

---

(١) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٢) الذخيرة: م١ ق١ ص٤٢٩ -٤٣٠.

(٣) المصدر نفسه: م١ ق١ ص٤٣٠.

(٤) المصدر نفسه: م١ ق١ ص٤٣٠.

(٥) المصدر نفسه: م١ ق١ ص٣٢٩ -٤٣٠.

أَنَا واللهِ أَصْلُحُ للمعالِي وأَمشِي مِشْيَتِي وأَتِيهُ تَيهَا

وكتبت على الآخرة:- [الوافر]

وأُمكِنُ عاشِقِي من صَحْنِ خَدِّي وأُعْطِي قُبلَتِي مَنْ يَشْتَهِيهَا

ففي نصه لا نجدُ أيَّ اتهامٍ لهذه المرأة بل نَجدهُ اعترف بتصاونها وطهارتها وعلو منزلتها. وقد قصدَ بـ (قلّة مبالاتها) لأنها فتحت أبواب قصر أبيها للرجال وجعلته منتدياً للاشعار. ومجلسها لا يحضرهُ الاّ كبار الوزراء والشعراء فكانت لا تُبالي بجلوسها مَعهم. ومساجلاتها هم. على ما نعتقد إن كل هذه الاتهامات التي وجهها المحدثون اليها كانت بسبب الأبيات الشعرية التي كتبتها بالذهب على فستانها. فقد لاحظنا نصَ ابنِ بسام حيث ذكر وأوجدت إلى القولِ فيها السَبيل (بقلّة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها) [1] ثم يذكر الأبيات بعد قوله بـ ،مجاهرتها بلذّاتها) [2]. إذن اتهامها باللامبالاة والإبتعاد عن الحياء، والطعن في أنوثتها، بسبب تقليعة الملابس ومجاراة العصر ومسايرة الأناقة بعد أن عرفنا شيوع الكتابات وتطريزها ووشيها على الملابس. فلو ألقينا نظرة على البيتين، نجدها أقسمت جازمة بذات الله، أنها تصلح لمعالي الأمور، اعتداداً وثقة بنفسها متغنية بجمالها ودلالها ورقة طبعها، شاهداً على رفعة أخلاقها الصالحة للعلياء... ومن المعروف أن طريقة السلام عند المغاربة لحد الآن هو طبع القبلات على الخدود والتي تقوم مقام المصافحة باليد عند المشارقة . فالقبلة على الخد مباحة في السَلام[3].

ولما كانت ولاّدة صاحبة القصر، ورئيسة المتدى، وشاعرة مشاركة في قصائدها.. لذا يقوم المحتفلون بتهنئتها وتشجيعها وتوديعها بعد خروجهم، بطبع

---

(١) الذخيرة: م١ ق١ ص٤٢٩.

(٢) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٣) إ.ليفي بروفنسال: سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها: ص١١ القاهرة – ١٩٥١.

القبلات على خدها... ولا يغرب عن بالنا بأنه لم يذكر أحد من المؤرخين أن ولادة ارتدت ذلك الفستان وتسكعت في شوارع قرطبة وقد ورد بيت من الشعر في القلائد قد يؤيد صحة ما ذهبنا إليه يقول[1]:- [البسيط]

طَرَّزَت ثَوبَ المعالي بَعدَما دَرَسَتْ رُسُومَهُ فأتانا مُعلِّمِ الطُرَرِ

لذا يتضح لنا أن الفستان الذي طُرِزَّ بالذهب إتخذته زيّا خاصاً لها في مجالسها لتثير بين الحضور التنافس في حبها، ولتحرص على قربهم منها، ليزدادوا كلفاً وتسبيحاً بحمدها، وربما اتخذته لتكون لها علامة مميزة عن بقية الشواعر في التدريس والإفتاء.

إذا أعدنا النظر في البيتين ثانية، ألفينا ما يدل عليها من أحلامٍ وأمانٍ بعيدة، كان يَجيشُ بها صدرُها وتنطوي عليها نَفْسُها الوثّابة التي لم تقف عند حد. على أنها كانت تطمح إلى غاية يَصغُرُ أمامَها كلُّ ما أدركتهُ ، وربما المَنْصَب في الحكم لتعيد مجد والدها. فكانت تمني نفسها بالتغلب على الرجال. وذَكَرَ المستشرق الفرنسي هنري بَيْرَيس في بحثه (المرأةُ والحبُ في القرن الحادي عشر) لقد أظهَرَتْ مهجةُ القرطبية في قصائدها عنفَ ولادة نفسهُ تجاه علاقتها بالرجال. وقد أطلقَ على هاتين الشاعرتين إسم (النساء الأمزونيات) مُعقباً على قوله قائلاً لأنهما لا يُفصِحنَ الاّ بالقليل عما يَدورُ في قلبيهما[2]. وقد بَحثنا عن كلمة (AMAZON) فإذا هي أُسطورةُ اغريقية عن النساء ، وَيُعتَقَدْ أنّ قصةَ هذه الأمزون عبارة عن قصصٍ مختلفة، حيثُ كلّ شيء يُعمَلُ بطريقةٍ خاطئة ، مثل ذلك أنّ النساء يحاربْنَ. وهذا شيء من مهمة الرجال[3].

---

(١) قلائد العقيان: ص١٢٦: طـ. مصر ، التقدم العلمية – ١٩٦٤ والبيت للشاعر أبي أمية إبراهيم بن عصام على ما جاء في القلائد.

(٢) الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر: ص٤٢٩.

(٣) Encyclopadia – Britanniga, P. ٢٩٢-U.S.A. - ١٩٧٤

ويَرفَعُ نيكلْ أصبع الإتهام ضد ولاّدة التي يُنكِرُ سلوكها سلوك بعض القنانات والممثلات، ويقول الباحث الألماني فيلهم [1] هوينرباخ: (إنَّ القَرنْ الرومانتيكي رأى في ولاّدة المرأة ذات المنزلة الرفيعة وعصرنا الواقعي يكشف فيها (المرأة المتحررة) ويقول شاخ (الجميلة والرصينة ولاّدة) بينما يوجه لها كور سنة ١٩٢٠ نقداً يستعمل فيها نبرة تختلف تماماً. وأخفق بعض الباحثين [2] في تفسير آراء المستشرقين واتخذوها ركيزة في اتهامهم لشاعرة عفيفة شريفة. فاعتمدوا على قول غرسية غومس في نعته لولاّدة كانت إمرأة (رَجُلَة) [3] . ولم يمعنوا النظر في النص كاملاً حين قال: (ومحبوبته هي ولاّدة وكانت أميرة من صلب ملوك، ولكنها كانت إمرأة رَجُلة بالغة الظرف والأناقة) [4] .. ويبدو أن غرسيه غوس كان قد قرأ في شعرها سباً وكلاماً فاحشاً يبتعد عن قوله الرجال من الشعراء فأطلق عليها كلمة (رَجُلة). أو أراد برجُلة (أنها ذات شخصية قوية متسلطة، بالغة الظرف والأناقة) لَمّا وَجَدَ في أشعارها من بعض الغريب المستكره الذي لا موسيقية فيه ولا رقة ولا لين. على الرغم من كونها بنت من صلب ملوك لما عرف عن بنات الملوك من رقة الألفاظ ونعومتها. فما جرى على لسانها من أقوال لا تليق أن تصدر من أميرة مثلها. فهي (رَجُلة) في ألفاظها ليس إلاّ .. فنص غومس واضح ولكن فسره الباحثون المحدثون على أهوائهم ليبرروا شكوكهم، ومن هذه التبريرات إنطلق الهلالي بعد كل الإدعاءات يطرح سؤالاً قائلاً:-

(ورُبَّ سائلٍ يسأل .. لماذا لم يُشِرْ مؤرخو الأدب، العرب الأقدمون، إلى هذه الناحيةِ ، إشارةً واضحةَ العِبارةِ؟). [5]

---

(١) فيلهم هوينرباخ مجلة الأندلس: ص٤٦٧ -٤٦٨.

(٢) ولاّدة وأثرها في حياة ابن زيدون: ص٢٤. الشعر النسوى : ص٤٤.

(٣) غرسيه غومس: الشعر الأندلسي: ص٤٩.

(٤) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٥) ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون: ص٢٠.

والحقيقةَ أنّ الأقدمَين لم يَشُيروا إلى هذهِ الأمـراض والصـفات، لا إشـارة واضحة ولا خفيّة. وكيف يُشيرون إلى إدعاءاتٍ لا وجـودَ لهـا أصـلاً .. ألحقهـا المحدثونَ بها وأسرفوا فيها.

والقضيةُ الأخرى التي إتخذها الباحثونَ[1] لشكوكهم هـو موقـفُ ولّادة مـن الزواجِ فقالَ : (أمّا مَوقفُ ولّادة، فما يَزالُ يَعتريهِ جانبٌ كبير من الغمُوضِ فإنها فَتَاةٌ تمتازُ بالجَمالِ الفَتانِ، والحَسَبِ العريضِ، والمالِ الوافرِ والمَواهبِ الفنيّـةِ الممتـازة، يطمعُ في ودّها الرجالُ لتُصرفهم بعنفٍ وكبرياء.. وهي بعْدُ كلّ هذا، تظـل عانسـاً حتى تتجاوز الثمانين أو تُشارف المائة. ولو شاءت الزواج لوجدت أكرم الأكفـاء)[2] ... ولكننا لا نستغرب لظاهرةِ العُزوفِ عن الزواج في فترة بلغ الترف والأُنس أوجه وفي مجتمع أصبحت المرأة نداً للرجل تُجالسه وتناظره وبلغت من الثقافـة والإدراك العقلي والوعي بحيث أصبحت المرأة المثقفة يتنافس الرجال عليها ولكنها لـم تـرتبط لكفاءتها العقلية وطوحها ... وهذه الظاهرة لمسنا جذورها عند شاعرات القرن الرابع أمثال عائشة[3] القرطبية التوفيت سنة (٤٠٠هـ) وهـي عـذراء. والتـي أجابـت خَطابها[4] بهذا الأسلوب مُعلنةً أنّها غَلّقَتْ أسماعها عن الأسود من الرجال: [الطويل]

أنا لَبْوةٌ لكنّني لست ارتَضي ... نَفْسي مُنَاخاً طُولَ دهريَ من أحَـدْ
وَلَوْ أنّني أختارُ ذَلِكَ لم أُجِبْ ... كَلْباً وكَمْ غَلّقْتُ سَمعِيَ عـن أسَـدْ

---

(١) انظر علي عبد العظيم: ابن زيدون، عصره، حياته، أدبه، ص١٧٤. وانظر ولادة وأثرها فـي حياة ابن زيدون : ص٢٣. والشعر النسوى: ص٧٧.

(٢) ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون: ص٢٣ نقلاً عن علي عبد العظيم ص١٧٤.

(٣) انظر التمهيد في مبحث الحرائر من هذا الفصل.

(٤) نزهة الجلساء: ص٧١ – ٧٢. النفح: حـ٦ م٣ ص٢٦.

ويبدو امتدادُها واضحاً عند النسوةِ الحرائر من الشواعر أمثال مريم بنت[1] أبي يعقوب التي مَدحت الملوك وجاوزت السبع والسبعين واحتشمت لدينها وأشبهت مريم العذراء، ولم تتكح. وخطب نزهون رجل قبيح[2] فقير الحال. وذكران حبه فيها قاده إلى خطبتها. فهجته بأبيات سوف نذكرها لاحقاً.

ولم يشر المؤرخون إلى ارتباط نزهون فتبدو هي الأخرى عازفة عنه.

ولربما لم يتوافر الكفؤ لها. وكذلك بالنسبة لمهجة القرطبية. أما ولاّدة، فناهيك عن عزوفها.

ولاّدة التي كانت تروم المناصب، وإعادة الأمجاد، وتحلم بملك الأمويين، وتمني نفسها بالتغلب على الرجال. قد يكون هذا سبباً في عزوفها. ولا ندري قد يكون إخفاقها في حبها لابن زيدون وميله لجاريتها (عتبة) . بعد أن وهبت قلبها له. فظهرت خيانته فآلت على نفسها عدم الزواج.. صرفت نظرها وفكرها عنه. ويبدو أن الشواعر كن أقصى ما يطمحنَ إليه هو أن يحصلْن على القاب باسم شواعر مشرقيات مشهورات فقد حصلت ولاّدة على لقب (عُليّة المغرب) وجاء في المغرب (أنها بالغرب كعلية بالشرق) [3] لكن ولاّدة فاقتها بحسنها ولم تقصر عنها بأدبها وشعرها ونادرتها وخفة روحها[4].

---

(١) جذوة المقتبس: ص٣٨٨ ترجمة ٩٨٦. بغية الملتمس: ص٥٢٨. الصلة: حـ٢ ص٩٦٤. نزهة الجلساء: ص٩٠. الدر المنثور: ص٥١٠ إعلام النساء : حـ٥ ص٤٧.

(٢) بغية الملتمس : ص٥٣٠. طبعة مدريد.

(٣) الذخيرة: م١ ق١ ص٤٣١.

(٤) النفح : حـ٥ م٣ ص٣٣٩.

عُليّة: هي علية بنت المهدي سيدة عباسية جليلة ولدت سنة ١٦٠هـ. كانت من أحسن النساء وأظرفهن وأعقلهن، ذات صيانة وعفة وأدب بارع. تقول الشعر وتصوغ فيه الألحان الحسنة، انظر أشعار أولاد الخلفاء: ص٥٥. نزهة الجلساء : ص٨٠ – ٨٦. (وقعت وفاتها في البصائر والذخائر ص٧٤) سنة ٢٢٠هـ . وانظر النفح : حـ٥ م٣ ص٣٩٩. الاعلام : حـ١٠ ص١٥٨.

أما الألفاظُ التي رددتها في أشعارِها قد تكون نتيجة شَبُع المرأة بألفاظ الرجال من خلال اختلاطها بهم وانتصارها عليهم في الآداب والشعر، جعلها تتلفظ بألفاظهم وتنطق بأفكارهم وترد عليهم بمستوى عقولهم. وعلى ما نعتقد أن المرأة سُجلت لها أشعار نستدل من ورائها انها كانت تعتقد كلما ازدادت في إنحطاط أسلوبها وألفاظها كلما تعاظم نفوذها. مما ساعد ذلك على إنحطاط الشعر ولا سيما الهجاء وتقهقره بهذه الكلمات . وكان رأي المحدثين يعوزه المستند التاريخي الذي يعززه، وبعد أنْ توافرت الأدلة التاريخية التي لا تدع مجالاً للشك في صحة تصاون ولادة، حتى في علاقتها مع ابن زيدون ... وقد أشارت هي إلى ذلك بقولها[1] :- [الكامل]

إني – وإن نَظَرَ الأنامُ بَبهْجتي ... كظباءِ مكّةَ صيْدُهنَّ حَرامُ
يُحْسِبْنَ من لِينِ الكلامِ فواحشاً ... ويَصُدَّهُنَّ عن الخَنا الإسلامُ

على ما يبدو كانت متصاونة فزادتهم إنجذاباً إليها. ويظهر أن علاقتهما لم تشبها شائبة لقوله[2]:- [المتقارب]

وصَانَكِ مِنّي وَفيُّ أبيٌّ ... لِعِلْقِ العَلاَقةِ أنْ يُبتَذلْ[3]

ويقول فيها أبياتاً تثبت شَرَفها. بَعدَ أنْ عِلمَ بميل ابن عبدوس (ت٤٧٢هـ) لها:- [المتقارب]

لَعمري لفوّقتَ سهمَ النضال ... وأرسلْتهُ لو أصَبْتَ الغَرضْ
وشَمّرتَ للخوضِ في لُجّةٍ ... هي الموتُ ساحلُها لم يُخضْ[4]

---

(١) ديوان ابن زيدون : ص٣٠ علي عبد العظيم.

(٢) ديوان ابن زيدون: ص١٨٨ وانظر الذخيرة: م١ ق١ ص٤٢٤.

(٣) العلاقة : علق فلان وبه منها علاقة وعلق وفي مثل (نظرة من ذي علق) أي من ذي حب قد علق بمن يهواه – صاحب العين– علق بها علق وعلقها علق وعلاقة وعلاقية. انظر المخصص. السفر الأول، المجلد الأول: ص٦٠.

(٤) الذخيرة: م١ ق١ ص٣٩٦.

وَغَـرّكَ مـن عَهـدِ ولادةِ سَرَابٌ تـراءى وَبَـرقٌ ومَضـى
هي الماءُ يأبى على قـابضٍ وَيمْنَـعُ زبدتَـهُ مـن مَخَـضْ

وربما كان ابن زيدون يَنظُم قصائد وينسج قصصاً من خيالـهِ لولهـهِ بتلـك المرأة.

ويبدو أنه يم ينل منها شيئاً لقوله[1]:- [المتقارب]

أَلَمْ أرضَ منكِ بغيرِ الرِّضى وأُبدي السُّرورَ بما لم أنلْ؟

ولقد أورد صاحب القلائد قولاً جعلنا نشك في بعض أشعاره التي قالها فيهـا، فقد يَكوُ تخيلاً من نَسجِ الخيال (وكان يَكلُفَ بولاّدة بنت المهدي ويهـيم ويستضـيء بنور تخيلها في الليل البهيم) [2].

ولا سيما إذا علمنا أن شعر مرحلة الشباب ضاع أكثره والذي وصل إلينا من شعره كان بعد نفيه من قرطبة.

لقد أحبّ ولاّدة رجالُ عصرِها كما أحبَها الناسُ وأحسنَوا الظّن بهـا. وربمـا صحبهُ هذا الشعور في عهد حداثتها وشبابها كان لهُ الأثرُ الكبيـر علـى شخصـيتها (فخلق منها قوّة الشخصية. واستقلال الرأي) [3] . وأعطتنا أفضل مثال علـى حريـة المرأة المسلمة في إسبانيا) [4]. إنّ ولاّدة المطبوعة على الشعر المولعـة بالموسـيقى المَيالة للإنطلاق تحدت تقاليد الأمويين بعد وفاة أبيها[5]. وقد عزا كل ذلك المستشرق الكبير (نيكل) إلى نزوات الشباب قائلاً (تكاد نـزوات ولاّدة لا تختلـف كثيـراً عـن

---

(١) الديوان : ص١٨٨. الذخيرة : م١ ق١ ص٤٢٤.

(٢) قلائد العقيان : ص٨٢ط. مصورة عن طبعة باريس تقديم محمد العتابي.

(٣) مجلة الكتاب: ص٣٠١ لسنة ١٩٧٥.

(٤) هنري بيريس : الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر: ص٣٩٩.

(٥) المصدر نفسه : ص٣٩٩. مجلة الكتاب: ص٣٠١.

النزعات التحررية التي تتجلى عند نجوم المسرح والسينما في عصرنا الحديث) [1] عدت ولاّدة نجمة من نجوم القرن الخامس الهجري .. لقد أثنى عليها المؤرخون إلاّ أنّ أبا عبد الله جعفر بن محمد بن مكي المتوفي سنة (٥٣٥هـ) عندما وصف بلاغتها وجزالة منطقها عاب ألفاظها البعيدة عن التصاون والتي لا تناسب علوّ شرفها ورفعة مكانتها. حيث قال: (يصفُ نباهتَها وفصاحتَها وحرارة نادرتها وجزالة منطقها وقال: لم يكُنْ لها تصاونٌ يطابق شرفها) [2] وكان لها مداعبات مع الأدباء[3] أكثرها في الهجاء[4]. ولم يصل إلينا من هجائها إلاّ نزرٌ قليل.

لم يصل إلينا من شعرها إلا عشرون بيتاً. فنتساءل ؟! أين ذلك الشعر الوجداني الرقيق الذي صدر عن شاعرةٍ أميرةٍ مكلومةِ الفوائد مطعونة في كرامتها مع جارية وخادمة سوداء؟ هل يصح !!؟ إنّ الشاعرة العملاقة لم يهزها ذلك الموقف المؤلم بتفضيل أتفه النساء على حبها !! أين الثرى من الثريا؟ لقد عَشَقَتْ ولاّدة وأُذلت، فجاءَ شِعرها جامعاً ذُلَّ العشق وذُلّ الحبيب. وهذا على ما نعتقد أرق ما يصدر عن إمرأة.

فلابّد من أن هذه الشاعرة المطبوعة كشفت بنباهتها وحرارة نادرتها في الرجال أبعاد نفسياتهم وطبيعة غريزتهم وصفات غدرهم وخيانتهم وتخليهم عن حبيباتهم بهذه البساطة مع أتفه النساء. مما دعا المؤرخين وعلى رأسهم ابن بسام [5]

---

(١) مجلة الكتاب: ص٣٠٢.

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب: ص٨.

أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي: من أهل قرطبة كان عالماً بالآداب واللغات ذاكراً لها ضابطاً لجميعها. ولد بعد الخمسين وأربعمائة وتوفي سنة (٥٣٥هـ).

(٣) الدر المنثور: ص٤٤٩. انظر أشعارها في كتب التراجم وديوان ابن زيدون : ص٣٣ – ٣٤ – تحقيق علي عبد العظيم.

(٤) الذخيرة : م١ ق١ ص٤٣٢.

(٥) المصدر السابق نفسه: والصفحة نفسها.

(٥٤٢هـ) أن يضرب عن ذكره ويطويه بأسره ويتعصب لأبنـاء جنسـه. ولـولاّدة حكايات غير ما ذكر في جملة كتب متفرقة لم يكن الحصول عليهـا ميسـوراً لعـزة وجودها.

مفتاح تمركز شواعر عصر الطوائف في المدن الأندلسية :-

١) شواعر شبيلية:-

أ- العبادية.

ب- اعتماد.

جـ- بثينة.

د- مريم بنت يعقوب.

٢) شواعر قرطبة:-

أ- ولاّدة.

ب- مهجة.

جـ- عتبة.

د- أنس القلوب.

٣) شواعر المَرية:-

أ- غاية المنى.

ب- أم الكرام.

جـ- الغسانية البجانية.

٤) شواعر غرناطة:

أ- نزهون.

ب- قسمونة..

٥) شواعر وادي الحجارة :-

أ- أم العلاء بنت يوسف الحجارية.

انظر الخارطة في الصفحة الآتية:

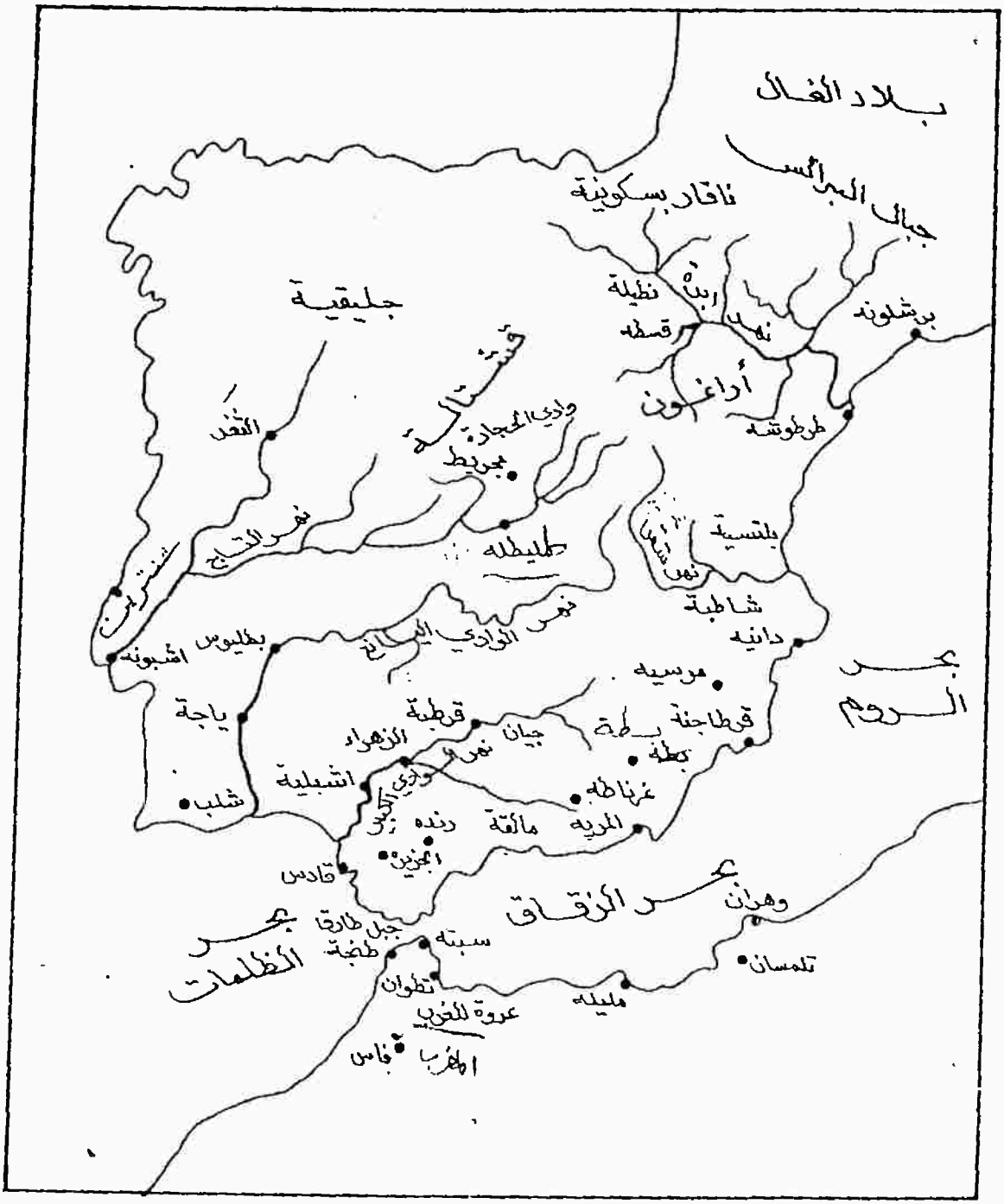
بلاد الفنك
جبال البرانس
ناڤار بسكونية
جليقية
نظيلة
ابرة
قسطه
برشلونه
أراغون
طرطوشه
وادي الحجارة
بحريط
الثغر
طليطله
بلنسية
نهر شقر
شنت ياقب
نهر التاج
شاطبة
دانيه
بطليوس
اشبونه
نهر الوادي الكبير
مرسيه
بحر الروم
ياجة
قرطبة
الزهراء
جيان
قرطاجنة
بسطة
نهر
وادي الكبير
اشبيلية
غرناطه
شلب
المريه
مالقة
رنده
المجزيرة
قادس
وهران
بحر الزقاق
جبل طارق
سبته
طنجة
بحر الظلمات
تلمسان
تطوان
مليله
عدوة المغرب
المغرب
فاس